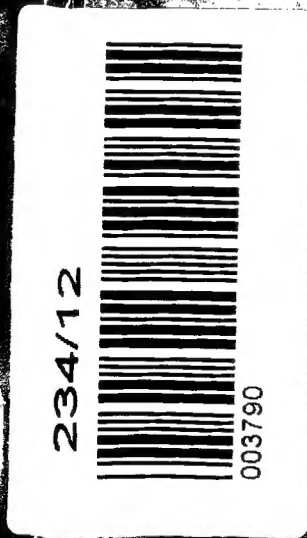


فقدوه يا حبيبي
وما من مصلح يا أوفى

حسن الشهادة والأداء
في
التجسد والفداء

بقلم
سيد الزيان زكي بشير عيواز
مطبعة وسائر المشرق للكتاب والارشاد



فقه و فقه ١٢٠٠
و ١٢٠٠ ١٢٠٠ ١٢٠٠

حسن الشهادۃ والأداء في سري التجسد والفداء

بقلم
الأستاذ الزبائن زكي شير عيوان
مكتبة
مطبعة المطبعة و النشر المشرق للكتاب العربى



مقدمة

في ٢٤ كانون الثاني ١٩٥٩ وجهه الى سيادة الصديق البروبست يواخيم فيكلت رئيس الكنيسة اللوثرية في القدس ، دعوة الاكاديمية اللاهوتية الألمانية لحضور مؤتمر القدس الذي نوت عقده في ١٥ و ١٦ نيسان لبحث موضوع « طبيعة السيد المسيح وجمع خلقيدونية » والقاء محاضرة في موقف كنيستنا السريانية الارثوذكسية ازاء هذه العقيدة . وبعد ان امتأذنت سيدي صاحب القداسة مار اغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك انطاكية وسائر المشرق الكلي الطوبى ، لبیت الدعوة وحضرت المؤتمر المذكور والقيت المحاضرة المطلوبة بعنوان « طبيعة واحدة لله الكلمة المتجسد » . وقد كتبها بأسلوب بسيط ، متحاشياً جهد امكاني الاصطلاحات اللاهوتية والفلسفية العويصة ، معالجاً الموضوع من الوجهة التاريخية ، مثبتاً عقيدة كنيستنا المقدسة ببراهين دامغة وواضحة ، عقلية وعقلية . وبشهادات الخصم نفسه . والقيتها في جلسة المؤتمر الاولى . وترجمت حالاً الى اللغتين الانكليزية والالمانية .

ومما هو جدير بالذكر ان الدكتور فريدريك هابر Dr. Friedreich Hayer. استاذ اللاهوت في الاكاديمية الألمانية المذكورة والذي كان يرأس جلسات المؤتمر ، علق على المحاضرة بقوله : « لقد اقمنا بما اثبتته المحاضر بان مجمع خلقيدونية لم يجتمع بروح الله .

نأذن بطبعه

حمص في ٣ تموز ١٩٥٩

اغناطيوس يعقوب الثالث

بطريرك انطاكية وسائر المشرق

واردف قوله : لقدغدا واضحا لدينا جميعاً ان الكنائس الارثوذكسية الشرقية القديمة التي تعتقد بطبيعة واحدة للسيد المسيح بعدالاتحاد بدون امتزاج ولا اختلاط ولا تبليل ، وترفض بمجمع خلقيدونية وعقيدته ، ليست اوطاخية المذهب كما كنا نظن ، فهذه الكنائس ، كقول المحاضر تحرم اوطاخي وهرطقته كما تحرم نسطور وبدعته ايضاً . انها اذن لامانة في عنق كل منا ، عند عودته الى بلاده ، ان يصلح التاريخ الخاطيء المجحف في حق هذه الكنائس .

ولا بد لي ان اذكر انه قد مثلت في هذا المؤتمر الودي ، الكنائس الارثوذكسية : السريانية والقبطية والارمنية والحبشية . والكنائس البروتستانتية : الاسقفية والانجليكية واللوثرية التي كان ممثلوها من الاردن والمانيا وكندا وبلجيكا وغيرها .

هذا وانتي نزولاً عند رغبة بعض الافاضل الغياري ، أقدمت على نشر محاضرتي هذه آملاً ان تنفيذ القارئ الكريم وتكون له وسيلة حسنة لتفهم الحقيقة المجردة ، والعقيدة المسيحية القديمة السمحاء ، وحيي الله ونعم الوكيل .

حمص في ٣٠ حزيران ١٩٥٩

الربان زكي بشير عيوان

طبيعة واحدة لله الكلمة المتجسد

١ - كلمة محمد عن سري التجسد والفداء

عندما هوى الانسان الاول في وهدة المعصية ، شملت خطيئته كافة الجنس البشري من بعده . فبانسان واحد دخلت الخطيئة الى العالم وبالخطيئة الموت وهكذا اجتاز الموت على جميع الناس اذ اخطأ الجميع ، (رو ٥ - ١٢) . « وزاغوا وفسدوا واعوزهم مجد الله » (رو ٣ - ١٢ و ٢٢) « ولم يوجد بينهم بار ولا واحد » (رو ٣ - ١٠) .

واذ كانت تلك المعصية غير متناهية لتوجيهها مباشرة الى الله اللامتناهي ، لذلك كان غير ممكن للملائكة والاباء والانبياء المتناهيين ، ان يقدموا الكفارة عنها ، ويفوا العدل الالهي حقه ، حتى ولا الناموس الموسوي ، الا الله وحده غير المتناهي ، اذ لا يوجد شيء في هذا الكون الا وهو متناه ، كقول الرسول بولس « لان ما لم يستطعه الناموس وضعف عنه بسبب الجسد ، فقد انجزه الله اذ ارسل ابنه في شبه جسد خطيئة وقضى على الخطيئة بالجسد من اجل الخطيئة » (رو ٨ - ٣) فصار « كفارة عن خطايانا وايس عن خطايانا فقط بل خطايا العالم كله ايضاً » (يو ٢ - ٢) .

فعندما بلغ ملء الزمان تجسد ابن الله (غل ٤ - ٤) من الروح القدس . ومن القديسة مريم العذراء التي اصطفها تعالى لهذا التدبير الالهي :

ذلك ان الروح القدس حل على العذراء وقديسها من الدنس الابوي فصارت اهلا لحلول ابن الله في احشائها ، ثم جبل من دماغها الطاهرة ناسوتا كاملا بحجم ونفس عاقلة ناطقة لابن الله الذي شاء ان يتجسد . غير انه لا اللاهوت وجد في احشاء العذراء قبل وجود الناسوت فيها ولا الناسوت وجد قبل اللاهوت . بل كلاهما وجدا معا في لحظة واحدة . فاتحدا اتحادا ذاتيا طبيعيا جوهريا اقنوميا بدون اختلاط او امتزاج او استحالة ، بسر لا يدرك . وولده العذراء بعد تسعة اشهر وهي بتول ، فصار الكلمة جسدا (يو ١ - ١) ودعي عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا (١ - ٢٣) يسوع المسيح (الذي كان منذ البدء الذي سمعناه ، الذي رأيناه بعموننا الذي شاهدناه ولمسته ايدينا) (ابو ١ - ١) الذي اخذ كل ما لنا ما عدا الخطيئة (في ٢ - ٦ - ٨) .

ونما في القامة والحكمة ، ولما اكمل الثلاثين من عمره اعتمد في نهر الاردن من عبده يوحنا ، فنزل الروح القدس من السماء بشبه حمامة ، وحظ على هامته ، وسمع صوت الآب من السماء قائلا « هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت » (مت ٣ - ١٧) .

وخلال تجواله في الارض ، قالت الناس فيه ما قالت ، فشاء له الجدي ان يلقي تلاميذه الاطهار الدرس الخالد في العقيدة السمحاء التي يجب ان يؤمنوا بها ويسلموها اتباعه من بعدهم ، فسمعناه في نواحي قيصرية فيلبس يوجه اليهم سؤالا قائلا « من يقول الناس اني انا ابن الانسان ؟ فقالوا قوم يوحنا المعمدان وآخرون ايليا وآخرون ارميا او واحد من

الانبياء . قال لهم وانتم من تقولون اني انا . فأجاب سمعان بطرس وقال : انت هو المسيح ابن الله الحي . فأجاب يسوع وقال له طوبى لك يا سمعان بن يونا . ان لحما ودما لم يعلن لك لكن ابي الذي في السموات ، وانسا اقول لك ايضا انت بطرس وعلى هذه الصخرة ابني كنسيتي وابواب الجحيم لن تقوى عليها » (مت ١٦ : ١٣ - ٢٠) . فعلى صخرة الايمان بابن الله الحي وضعت اساسات الكنيسة ، ولا يبنى اذن اساس المسيحية الا على المسيح الواحد ، ولا يوجد مسيحيان يمكننا ان نبني هذا الاساس على احدهما دون الآخر ، ولكن المسيح هو واحد لا غير ، وهو هو ابن الله الحي وابن الانسان مريم . والمسيحية لا يمكن ان تبني الا على حقيقة المسيح بأكملها .

وسمعناه مرة اخرى يتحدث الى رسله عما هو عتيد ان يحتمله من الالام الفادحة من رؤساء اليهود ، وكيف انه سيموت وفي اليوم الثالث يقوم . ولا نستغرب اذا عرفنا ان رسله اعترتهم الدهشة عند تأملهم ماهية هذا الخبر ، فلم يدر كوا كنهه ، ولم يسبروا غوره ، فأخذوا يسألون انفسهم كيف يحتمل الالام والموت وهو ابن الله الحي بل هو الله ؟ ورأينا بطرس يأخذه جانبا ويبتهره قائلا حاشاك يا رب لا يكون لك هذا ، فيلتفت اليه يسوع موجها قائلا « اذهب عني يا شيطان . انت معثرة لي ، لانك لا تهتم بما لله لكن بما للناس » (مت ١٦ : ٢١ - ٢٤) . نعم لم يكن بطرس ورفاقه يدر كون معنى الآم ابن الله ، وموته بالجسد ، الموت الذي به سينالون والعالم اجمع الحياة والخلاص من اسر الخطيئة

والموت والشیطان . اما یسوع الذي كان عارفاً بأنه لهذا أتى الى عالمنا ، « فاذ وجد بالهيئة كإنسان وضع نفسه واطاع حتى الموت موت الصليب » (في ٢ : ٨) ومحا بموته الصك المكتوب على البشرية ووفى العدل الالهي حقه ، وصالح الارض مع السماء . اجل ، صلب الاله المتجسد على يد اليهود الذين « لو عرفوا لما صلبوا رب المجد ، ونزل الى الهاوية متحدا بروحه الناسوتية ، وخلص ارواح الراقدين على الرجاء به ، وفكهم من الاسر (اف ٤ : ٨ و ٩) (زك ٩ : ١١ و ١٢) واصعدهم الى الفردوس (لو ٢٣ : ٤٣) . وفي اليوم الثالث قام من بين الاموات بقوة لاهوته (مت ١٦ : ٢١ ، و ١٧ : ٢٢ و ٢٠) وظهر بعد قيامته لتلاميذه منفردين ومجتمعين عدة مرات ، وللنساء ، ومرة دخل العلبة والابواب مغلقة وبين تلاميذه اثر جروحه ، واكل قدامهم (لو ٢٤ : ٣٦ - ٤٣) مظهرا لهم نفسه حيا ببراهين كثيرة (اع ١ : ٣) وبقي مترددا اليهم اربعين يوماً يفسر لهم ما كتب عنه (اع ١ : ٣) ثم اخذهم الى جبل وباركهم وصعد بناسوته الى السماء عيانا امامهم (اع ١ : ٩) وجلس عن يمين العظمة (مر ١٦ : ١٩ واع ٧ : ٥٦) وسيأتي ثانية بمجد عظيم جدا للدينونة (مت ٢٤ : ٢٩ - ٣١ واع ١ : ١١) .

هذه خلاصة سري التجسد والفداء الذي قام بها الاقنوم الثاني من الثالوث الاقدس باقنومه الواحد وطبيعته الواحدة ومشيئته الواحدة .

٢ - الكنيسة والمبتدعون

وبعد ان تجلبب الرسل الاطهار قوة الروح القدس (اع ٢ : ٣ و ٤)

خرجوا الى جميع اقطار المسكونة ناشرين البشارة بالمسيح يسوع ، ومعمدين المؤمنين به باسم الاب والابن والروح القدس آله واحد ، مسلمين اياهم تعاليمه السمحاء نقية طاهرة ، قوية جبارة ، بسيطة سهلة بحيث يفهمها ابسط الناس واسدجهم ، وصعبة مستعصية بحيث لا يستطيع سرغورها اكبر الفلاسفة واعظمهم . وكان من اهداف تعاليمهم هذه المكتوبة والمنقولة ، نشر العقيدة القويمة بالثالوث الاقدس التي آن اوان نشرها بوضوح ، في عهد ناموس الكمال ، واعلان الاعتقاد بالمسيح يسوع ابن الله الحي الذي به خلق الكون بأسره ، وعليه تدور كافة اجاسات الكتاب المقدس بعمديه من الفه الى يائه .

وهكذا غزت النصرانية افكار الشعوب وملكت على قلوب البشر ، وانتشرت في كل بقعة من بقاع المسكونة ، ونما زرع الحق النقي الذي زرعه يسوع في حقله العظيم زرعاً جيداً ، وظهر الى جانبه ايضاً زؤان الضلال الذي زرعه بينه ابليس عدو الخير . ذلك ان الجماهير الغفيرة التي دخلت النصرانية من اليهود والوثنيين بقيت في روايتي رؤوس بعضها اشياء من سخافات الوثنية البالية وفلسفتها المنشعبة واضاليلها الفاضحة ، وخرافات اليهودية الخاملة المكبلة بقيود الجنسية المحدودة والتمسكة بالاراضيات دون السماويات . اولئك نفر حاولوا جهـد طاقتهم خلط حقائق الدين المسيحي القويم بسخافات دياتهم القديمة ، فتنكبوا عن تعاليم المسيحية السمحاء التي سلمها الرب لرسله ، وهفوا في مزاللق الفساد قائلين باطلا ومعلمين ضاللا ، حائدين عن جادة الحق مذبذبين تعاليم غريبة ، مقلقين بذلك راحة

الرسول والمبشرين . ولم يتركوا وسيلة الا تذرعوا بها لخداع البسطاء من المؤمنين ، فاضلوا عقول ضعاف الايمان منهم واصطادوهم في شرك الباطل ، بيد ان رؤساء الكنيسة كانوا دائماً بالمرصاد لاولئك القوم الضالين والمضلين والانبيا الكذبة السكافرين ، الذين نازلهم في ساحة القتال ، وظفروا بهم واحداً فواحداً بقوة الراعي الصالح يسوع المسيح محذرين الكنيسة منهم تحذيراً . هكذا ناعت اليهودية والوثنية النصرانية العداء حسداً ، ولكنها خرجت من ساحة الوغى عالية اللواء ناصعة الجبين منتصرة محتفظة بجوهرة الايمان نقية صافية ، داحرة عدوتيهما البغيضتين .

ونخبرنا التاريخ المسيحي انه في كل مرحلة من مراحلها وعلى كل مسرح من مسارحه وفي كل دور من ادواره وعصر من عصوره ، وجد في الكنيسة المقدسة من حاول دس السم في تعاليمها الطاهرة ، فكان يتصدى له آباء قديسون وابطال صناديد يذودون عن حياض الكنيسة محافظين - حتى الدم - على نقاء ايمانها وسلامتها عقيدتها ، داحرين غزوات موجات التعاليم الغريبة التي حاولت الامتزاج بمبادئها القويمة .

ففي العهد الرسولي ظهر الانبياء الكذبة والاخوة المضلون ، فخرمهم الرسول القديسون وابعدوهم عن حظيرة السيد المسيح . واقتفى اثرهم في العصور الاولى عشرات المبتدعين ، اخطرهم آريوس الذي ظهر في اوائل القرن الرابع واعتقده بان الابن ليس الهاً لكنه خلقه الله في اول خلايقه ، وهو اصغر من الآب ، وسلطانته منبثق منه ، وبالتالي ليس

مساوياً للآب في الجوهر . واخذ يث هذه العقيدة الشنعاء في الامبراطورية الرومانية . حتى فندها المجمع النيقاوي المسكوني الاول سنة ٣٢٥ م ورتب الجزء الاول من دستور الايمان المسيحي المبني على اساس الكتاب المقدس ويبتدىء بعبارة « نؤمن بآله واحد .. » وينتهي بعبارة « ونؤمن بالروح القدس .. » وخلاصته (ان ربنا يسوع المسيح هو آله حق وابن الله الازلي حقاً ، ومساوٍ لانيه في الجوهر) .

ثم التأم المجمع المسكوني الثاني في القسطنطينية سنة ٣٨١ وفند بدعة مقدونيوس الذي انكر الوهة الروح القدس وقال عنه « انه مخلوق يشبه الملائكة ولكنه ذو رتبة اسمى منهم » . ورتب المجمع الجزء الثاني من قانون الايمان وهو « نؤمن بالروح القدس الرب المحيي الكل الذي من الآب ينبثق والذي مع الآب والابن يسجد له ويعبد الخ .. »

٣ - ومرة اوله المتجسر والمبتدعون ، تاريخياً

وجاء القرن الخامس يحمل بين طياته البدع الخبيثة والآراء العقيمة التي عنها نتجت الشقاق والتفرقات التي لا يزال اثرها ظاهراً في جسم الكنيسة الواحدة حتى يومنا هذا . ذلك ان آباء الكنيسة في القرون الاربعة الاولى ، بما فيهم آباء المجمعين المسكونيين النيقاوي والقسطنطيني ، الذين تسلموا الايمان من الرسول الاطهار ، كانوا يعتقدون بالمسيح يسوع « بانه ابن الله الحي والاقنوم الثاني من الثالوث الاقدس ، وهو ابن طبيعي لله الاب وللعدراء مريم ، وقد اتحد في تجسده اللاهوت والناسوت معا بدون تبديل او امتزاج او اختلاط لذلك فله طبيعة واحدة

مركبة من طبيعتين (١) ومشينة واحدة (٢). واقوال الاباء بهذا الصدد لا تحصى وسنذكر بعضها في مكان آخر.

هذه كانت عقيدة الكنيسة الجامعة حتى ظهر نسطور بطريرك القسطنطينية في القرن الخامس الذي سقط في بدعة شنيعة شغلت الكنيسة اجيالاً عدة ، اذ اعتقد بان العذراء مريم لم تلد آلهة متجسدا لكنها ولدت انسانا بحثا حل عليه الآلة عند عماده في الثلاثين من عمره . وقال: من اجل ذلك لا ينبغي تسمية العذراء بوالدة الاله ، وان للسيد المسيح طبيعتين واقنوهين . وقد عاب على الجوس سجودهم للطفل يسوع (مت ٢ : ١١) . وقال ايضا حيث : « ان الله لم يولد فلا يجوز القول انه صلب ومات ايضا . بل انه حين جاء الى الصليب انفصل لاهوته عن ناسوته ، وكان المعلق على العود انسانا محتسا . ولذلك تجرأ فاستقطع عبارة : يا من صلبت من اجلنا من التقاديس الثلاثة التي ترتلها الكنيسة في صلواتها (٣) .

فتار ضده الشعب المؤمن واستنكروا بدعته النكراء ، وظهروا له

-
- (١) الحريدة النفيسة ج ١ ص ٤٦٢ - ٤٨٢ عن رسالة يوايوس الروماني الى ديونيسيوس اسقف قبرص . ونهج وسيم المطران جرجس شاهين الكاثوليكي ص ٢٠ وتاريخ الانشقاق لجراسيموس مسرة ج ١ ص ١٩١ و ١٩٢ . وتاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية جزء ١ ص ٣٠٦ - ٣٠٧ .
(٢) تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية جزء ١ ص ٣٠٧ عن خطبة الذهبي الفم في قول السيد المسيح (لكن ليس كمثلي بل كمثيتك مت ٢٦ : ٣٩)
(٣) تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ج ٢ ص ٣٦ .

انحرافه عن الايمان القويم . كما كتب اليه بعض اباء الكنيسة كالقديس كيرلس بابا الاسكندرية مفتحين اراءه الوخيمة وناصحين اياه ليرعوي . ولكنه لم يرتدع بل اصر على عناده ، فعقد المجمع المسكوني الثالث في مدينة افسس سنة ٤٣١ م بأمر الامبراطور ثيودوسيوس الثاني ، وحضره نحو ٢٠٠ اسقف فحسبوا بدعته وتعاليمه الوخيمة ، واخذوا عذوها غريبة عن روح المسيحية حرموه واياها ، وايدوا العقيدة الصحيحة من الكتاب المقدس . واثبتوا ان للسيد المسيح اقنوما واحدا وطبيعة واحدة بعد الاتحاد بدون اختلاط ولا امتزاج ، وان العذراء هي والدة الاله .

وبناء على هذا القرار المجعبي امر الملك بنفي نسطور الى دير ثم الى اووسا اخيم بصعيد مصر حيث قضى نحبه . ولكن بدعته بقيت بعد هلاكه منتشرة متفشية في جسم الكنيسة وخاصة في الشرق . وقام الآباء القويمو الرأي يذودون عن حياض الايمان الحق . وبقيمون الحجة على صحته رافضين بدعة نسطور الشنعاء . وكان من جملة المناضلين : اوطاخي رئيس دير في ضواحي القسطنطينية ، فبينما كان هذا يسفه هذه البدعة ، تطرف في منهج التعبير في سر التجسد وسقط هو الآخر في بدعة اكثر شناعة منها اذ قال باستحالة الناسوت الى اللاهوت ، وخلط ومزج احدي طبيعتي السيد المسيح بالآخرى ، وآل به الامر الى ان ينكر كون المسيح اتخذ ناسوتا حقيقيا من العذراء .

فحاججه اوسايبوس اسقف دوريليوم من اعمال فريجية ، وكان صديقه الحميم ، ونصح به بالاقلاع عن رأيه . وبينما كان يحاول اقناعه خطأ تعليمه « بالطبيعة الواحدة الممزجة » هوى هو الآخر في ضلال نسطور اذ قال « بفصل طبيعتي السيد المسيح بعد الاتحاد » . وشكا اوطاخي الى بطريركه فلألبانوس القسطنطيني واذ كان هذا من المنشيعين لنسطور : قبل شكوى اسايوس وعقد على اوطاخي مجعما في القسطنطينية ورئاسته سنة ٤٨٨ حضر ٣٠ اسقفا ، وفيه حرم اوطاخي وعزله من رئاسة دير ، وايد مذهب نسطور الوخيم القائل « بان للمسيح طبيعتين ومشيئتين بعد الاتحاد » وبذلك سقى غرسة العقيدة الخاطئة التي فضحت واكتملت في مجمع خلقيدونية ، والتي يرفضها الاباء القديسون السالفون بكتاباتهم واقوالهم وتصريحاتهم ومجامعهم .

وما ان سمع اوطاخي بهذا الحكم حتى فزع الى الملك ثاودوسيوس يستغيث به من جور بطريرك القسطنطينية ، مدعياً انه لم يفعل شيئاً سوى الدفاع عن الايمان المستقيم . فأمر الملك فاجتمع المجمع ثانية في القسطنطينية في شهر نيسان من السنة التالية ، بحضور فلألبانوس وفلورنسيوس معتمد الملك ومقدونيوس القائد . وابتدأوا في استعراض اعمال المجمع السابق ليتأكدوا من صحتها ورغم ان اغلب اعضاء هذه الهيئة هم بعينهم اعضاء المجمع المكاني الطاعون فيه ، الا انهم بدأوا يتراجعون ويتنصلون من اقوالهم ملقين التبعة بمضهم على بعض ، واخيراً رفضت الجلسة كاعتقدت دون جدوي .

مجمع افسس الثاني

وانتهز اوطاخي فرصة تألب الرأي العام ضد فلألبانوس لقوله « بان للمسيح طبيعتين بعد الاتحاد » فرفع شكواه ثاودوسيوس الثاني ، كما كتب الى آباء كثيرين ، من جملتهم لاون اسقف روما ، باسطاً لهم اراء بطريرك القسطنطينية ، وما لقيه منه من الظلم ، طالباً التوسط لدى الامبراطور لاعادة النظر في قضيته واستئناف الحكم في مجمع مسكوني . فأجابه لاون برسالة مؤرخة في اول حزيران عام ٤٤٩ يقول فيها « الى الابن العزيز اوطاخي القس من لاون الاسقف ، لقد بلغنا من رسالتك ان بعض اناس باغراضهم القبيحة قد انشأوا ثانية ارتقة نسطور ، فنمرك اننا سررنا باهتمامك وعنايتك بهذه القضية ، ومن رسالتك تحقق عندنا ما في نيتك ، ولذلك لم نشك في ان الرب الذي كوث الامانة الجامعة سيسعفك في كل شيء . فاما نحن متى بلغنا بالكمال امر اولئك الذين يتفاهم يفعلون ذلك ، فيلزم اننا بتوفيق الله نعتي بقطع هذا الرأي القبيح الذي لمضي زمان يسير قد نفى ، فليصنك الله عزت قدرته ايها الابن العزيز (١) » .

اما الامبراطور ثيودوسيوس الثاني فاذ وجد ان الخلاف قد تفاقم جداً ، لى طلب اوطاخي وكتب الى سائر البطركية والاساقفة بمقد مجمع

(١) كتاب تاريخ مجمع خلقيدونية بالمرية طبعة رومية سنة ١٦٩٤ باب

مسكوني سنة ٤٣١ في مدينة افسس لحسم هذا الخلاف . فلما شعر
فلايانوس بصدور هذا الامر السامي ، ارسل الى لاون الرماوني
ثاودور بطس اسقف قورش وغيره من المتشيعين لنسطور ، يستنجد به
فارسل الى المجمع نوابا عنه هم الاسقف يوليانس ، والقس راناد ، والشباس
ايلاروس (١) ، يحملون رسالة الى فلايانوس لا الى المجمع كما يقضي
القانون .

وبعث الامبراطور بثلاث رسائل الى البابا ديسقوروس الاسكندري
بهذا الصدد ، خوله في الثالثة منها حق رئاسة المجمع . ومما قاله : « اعلم
اننا امرنا سابقاً ان ثاودور بطس اسقف قورش لا يحضر في المجمع الى
ان يظهر ما ينبغي بخصوص خصومه لكونه تجاسر وتكلم في الامانة ،
بخلاف ما كتب كيرلس الصالح ذكره ... واننا نوهب قداسك سلطانا
ونجعلك متقدماً ، ليس فقط فيما يخص ثاودور بطس بل وبما يخص كل
المجمع المقدس (٢) . ثم عين الملك اثنين من معيته نائبيين عنه في المجمع .
وامرهم بان الذين كانوا قضاة في امر اوطاخي يكونون حاضرين بالصمت
دون ان يجالسوا القضاة .

وهكذا اجتمع الى افسس مائة وثلاثون اسقفاً من سائر انحاء
المسكونية وعقدت جلسات المجمع في كنيسة العذراء ابتداء من اليوم الثامن
من شهر آب سنة ٤٤٩ .

(١) فيه باب ١٤ : ٤٢ و ٤٣ .

(٢) تاريخ مجمع خلقيدونية (باب ١٨ : ٨٩) .

ودعي اوطاخي وسئل عن عقيدته ، فاعترف امام المجمع بالمعقيدة
الصحيحة السلمية ، وايد قوله بان قدم له ايضاً اعترافاً صحيحاً مكتوباً
بتوقيعه ، معلناً تمسكه بايمان بحجي نيقية وافسس وجميع الآباء الارثوذكسين
السالفين ، وحرمة لجميع الهراطقة ولا سيما ماني ووالنطينس وابو ليناريوس
ونسطور حتى سيمون الساحر ، مشهداً على ذلك السيد يسوع
المسيح (١) .

وتلا الآباء اعمال مجمع افسس الاول المسكوني ، وقانون ايمان المجمع
النيقاوي وتعاليم الآباء القديسين في سر التجسد المجيد . ولم تقرأ رسالة
لاون الآنفه الذكر .

ولم يقرر هذا المجمع شيئاً جديداً بل اثبت ماقرره المجمع الافسسي
السابق (٢) . معلناً وجوب التمسك بمعقيدة الكنيسة القديمة . وبعد
البحث الكثير خلص الى القرار التالي : « للمرة الثانية نحدد القول
بطبيعة واحدة بعد الاتحاد للكلمة المتجسد بدون اختلاط او امتزاج او
استحالة » .

اما فلايانوس القسطنطيني ودمنوس الانطاكي وثاودور بطس
القورشي وهيبا لرهاوي واوسايبوس اسقف دوريليوم فخطبهم المجمع

« ١ » تاريخ مجمع افسس الثاني بالمربانية . والتاريخ الكنسي لابن العبري في
ترجمة دمنوس ، وتاريخ مار ميخائيل الكبير ص ١٨٠ . وتاريخ الكنيسة

المربانية الانطاكية ج ٢ ص ١٢٣ - ١٣٥

« ٢ » تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ١٨٠ .

عن كراسيهم ورتبهم لتمسكهم بالقول بطبيعتين للسيد المسيح بعد الاتحاد ورفع الآباء قرارات الجمع الى الامبراطور ثيودوسيوس الذي اثنى عليها واصدر امراً بنفي فلايانوس (١) . وعاد الآباء الى ابرشياتهم فرحين مسرورين بالرب ، مطمئني البال اذ قد حافظوا على الايمان القويم ، ودحضوا البدع الوخيمة .

اما اوطاخي فقد عاد بعدئذ الى غيه ونادى بتعاليم تناقض المعتقد الارثوذكسي الصحيح ، وتبين ان ما اظهره في الجمع السابق كان خلاف ما يبطنه . اما الجمع المقدس فكان مضطراً لاثبات براءته بعد ما قدم صورة ايمانه السلمية ، واعترفه الصريح امام الآباء ولو انه حكم عليه بعكس ما حكم لاعتبر حكمه ظلماً . ولكنه بالوقت نفسه حرم تعاليمه . واذ عاد اوطاخي اليها اسقطه الاساقفة من رتبته وحرموه (٢) .

اما نواب لاون اسقف روما فعادوا الى سيدهم بعد ارفاض جلسات جمع افسس الثاني ، وحملوا اليه صورة عن قرارات واحكام هذا الجمع واوقفوه على كل ما دار فيه ، واذ علم ان رسالته لم تقرأ في الجمع ، عد ذلك اهانة كبرى له ، وهو الذي يحلم في الرئاسة العامة على الكنيسة .

« ١ » تاريخ مجمع خلقيدونية باب ١٥ : ٤٥ وباب ١٦ : ٦٢ . وتاريخ مجمع افسس الثاني بالمرابانية وتاريخ الكنيسة المرابانية الانطاكية ج ٢ ص ١١٩ - ١٤٧

« ٢ » تاريخ الكنيسة المرابانية الانطاكية ج ٢ ص ١٣٣ - ١٣٧ و ٣٠٩ - ٣١٣

وبالعصمة النامة . وكيف لا يغضب والمجمع لم يكنف بعدم الاخذ برأيه الموافق لرأي فليانوس بطريرك القسطنطينية بل حرم فليانوس وكل من يعتقد باعتقاده ، وعدّهم مبتدعين لمناداتهم بطبيعتين للسيد المسيح بعد الاتحاد . حينئذ التّب لاون حوله الاساقفة المقطوعين الذين اذ اكتشفوا نقطة الضعف فيه اشبعوا كبرياءه اذ لجأوا اليه فقبلهم في شركته ، وكتب الى الامبراطور ثيودوسيوس متوسلاً اليه ليسمح له بعقد مجمع في كرسية يستأنف فيه الاحكام التي اصدرها مجمع افسس الثاني فاجابه الامبراطور يقول : (ان مجمع افسس قد فحص كل شيء بمقتضى رسوم العدل والايمان فأقضي فيه غير المستحقين من الكهنوت ، واعيد المستحقون الى درجاتهم (١) .

فلما رأى لاون ان ثيودوسيوس لم يلب رغبته ، التمس بدموع غزيرة من والنطليان قيصر الغرب ليكتب الى ثيودوسيوس بالموضوع ذاته ، ففعل ، فأجابه ثيودوسيوس برسالة اظهر فيها عدم ضرورة عقد مجمع آخر ومما قال : اما من حيثية فلايانوس فنقول لانه من حكمه انكشف امر جديد مهم ضد مذهب الايمان ، فهو قد نال ما استحقه وبعد ما طرد ذاك اصبح في البيعة صلح وسلام وليس فيها الا الحق المسيحي) . كما قال المؤرخ ثاوفانيس (٢) .

وذكر بعض المؤرخين انه عندما بلغ ديوسقوروس الاسكندري ان

(١) تاريخ الكنيسة المرابانية الانطاكية ج ٢ ص ١٤٨ - ١٥٠

(٢) تاريخ الانشقاق ج لجراسيموس مرة ١ : ٢٢٥ .

لاون قبل الاساقفة المطرودين في شركته : جمع مجمعا في مدينة الاسكندرية من جميع اساقفة الكرازة المرقسية وحكم على لاون الروماني بالحرمان واذا ع هذا الحكم .

ودار الزمان دورته ، ومرت سنتان على مجمع افسس الثاني المقدس وانتقل الملك ثيودوسيوس المظفر الى جوار ربه ، ولم يعقب خلفا سوى اخت اسمها بلخارية كانت قد نذرت العفة وترهبت في احد الاديار ، فافتناها بمض الاساقفة المرائين (١) للزوج من مرقيان احد قواد الجيش وكان من انصار نسطور ، فنكثت نذرهما وزوجته ، وسلمت اليه مقاليد المملكة فاصبح امبراطور الشرق .

وانبسطت اسارير لاون اسقف روما بهذا التغيير المفاجيء في الحالة السياسية في الشرق وزجر يريد الانتقام من عدوه ديوسقوروس . وبعث الى بلخارية وزوجها مرقيان وفدا مؤلفا من الاساقفة المقطوعين ملتصقا عقد مجمع يستأنف احكام مجمع افسس . واذ كانت بلخارية ميالة الى فليبيانس ، وترغب من مدة في حد نفوذ البسبا ديوسقوروس (٢) واذ كان زوجها مرقيان تابعا لنسطور ، ساعدا لاون على تكميل رغائبه وامرا بانعقاد مجمع لفحص وقائع مجمع افسس الثاني .

(١) تاريخ مخمير الدول للامام ابن العربي الطبعة الثانية ص ٨٥ .

(٢) تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ج ٢ ص ١٥٠ وتاريخ الامة القبطية وكنيستها تأليف مدام بونشرج ٢ ، ص ٥١ .

ودعا مرقيان البابا ديوسقوروس الى المجمع فحضر الى القسطنطينية ، وسأل عن سبب عقد مجمع ، فقيل له لتوضيح الايمان ، اجاب بجرأتته الممودة « ان الايمان لغني غاية الكمال ولا يعوزه شيء من الايضاح ، وهو مقرر ومثبت من الالاء ، امثال اثناسيوس وكيرلس وغيرها » . واذ حاول مرقيان وبعض الاساقفة ان يستميلوه ليوافق على رسالة لاون التي تثبت الطبيعتين بعد الاتحاد ، قال « ان اعتقاد البيعة ينبغي الا يزداد عليه او ينقص منه ، فالسيح واحد بالطبع والجوهر والفعل والمشيئة كما كرز الالاء . اسمعوا ماذا قال ابي القديس كيرلس ان اتحاد الالهوت بالناسوت هو كاتحاد النار بالحديد ، فاذا ضرب الحديد بالمطرقة فان الحديد هو الذي يثائر ولكن النار لا يلحقها شيء » .

واذ ثبت لبلخارية ومرقيان وبعض الاساقفة المقطوعين ما وهب الله لديوسقوروس من قوة الحجة ووضوح البرهان لتفسير الايمان ، انفقوا على ان يكون المجمع بعيدا عن العاصمة في مدينة خلقيديونية بالقرب من البسفور ، اثلا يحدث ما لاتحمد عقباه ، وعلى ان لا يناقشوا ديوسقوروس في امر الايمان بل يقتصر على البحث في امر الاساقفة المقطوعين ورسالة لاون .

مجمع خلقيديونية

لقد وضعت كنيسة روما كتابا سردت فيه ما حدث في مجمع افسس الثاني والمجمع الخلقيديوني ، واسمته (تاريخ المجمع الخلقيديوني) ،

وترجمته من اللاتينية الى العربية بواسطة الراهب فرنسيس اللاتيني ثم طبعته بمدينة روما ١٦٩٤ م ونشرته (١) ، واتي بسرد حوادث هذا المجمع سأعتمد كل الاعتماد على هذا الكتاب دامغاً الخصم ببرهانه مثبتاً الحقائق من اقواله .

عقد هذا المجمع في اليوم الثامن من شهر تشرين الاول عام ٤٥١ م (٢) ، في كنيسة اوفيميا في مدينة خلقيدونية (٣) « قاضي كوي » اليوم تجاه مدينة القسطنطينية . واختلف المؤرخون في عدد اساقفته فبعضهم قال انهم كانوا ٣٣٠ وبعضهم ارتأى انهم بلغوا ٦٣٠ ، اشهرهم ديوسقوروس بابا الاسكندرية ، ومكسيموس بطريرك انطاكية ، ويوبناليوس اسقف اورشليم واناطولIOS بطريرك القسطنطينية ، كما اوفد لاون اسقف روما ثلاثة نواب عنه هم الاسقفان باسكاسينوس ولوشنسيوس والقس بونيتاسيوس .

وجلس في وسط المجمع القضاة الذين اختيروا لادارة جلساته ، وجلس الاساقفة كل مكانه فوق باسكاسينوس نائب لاون الروماني وقال « معنا اوامر الاقنوم الطوباوي اسقف رومية يأمرهم بان

(١) انظر الحريدة النفيسة جزء ١ ص ٤٩٧

(٢) لومون اليوغمي ج ١ ص ٢٥٨ - تاريخ سوريا للديس ج ٤ ص ١٠٤

تاريخ الانشقاق ج ١ ص ٢٦٦ . وتاريخ الكنيسة الميريانية ج ٢ ص ١٥٤ .

(٣) ابن العبري عن مجمع خلقيدونية في ترجمة مكسيموس - وتاريخ ميخائيل الكبير ص ١٨٧ .

ديوسقوروس لا يكون له جلوس في هذا المجمع ولكن احضروه هنا كي يرد الجواب عن فمله ، ونحن ملزمون بحفظ ذلك فأمرنا ان يخرج والا نخرج نحن .

فسأله القضاة عما فمله الاب ديوسقوروس مخالفا للقوانين . فقال : « ينبغي له ان يحضر ويرد الجواب عما حكم به كونه اذ لم يكن معه سلطان بهذه القضية ، عقد باقتراحه مجعاً بغير دستور الكرسي الرسولي » .

لو عقد مجمع افسس الثاني بدون علم من اسقف روما لما قلل اهميته لانه كان مستوفيا شروط المجمع المسكونية التي انما كانت تمقد بامر الملك لفض المشاكل الكنسية ، ولم يذكر التاريخ الكنسي ان احدها عقد باذن من اسقف روما ، الذي كان صوته فيها كصوت احد الاساقفة لا غير . وحضوره فيها وغيابه عنها كان سواسية . ونص الرسوم المللكي الصادر لانعقاد مجمع افسس الثاني مدون في كتب المدعين انفسهم (١) .

ومما يدعو الى الاستغراب تجاهل نائب روما للواقع بادعائه هذا الكاذب فاذا لم يكن لاسقف روما علم بمجمع افسس الثاني ، فمن الذي بعث بنواب روما الثلاثة الاسقف بوليانوس والقس رانادوا والشاس ايلاروس ؟ وبالنيابة عن من حضر هؤلاء في المجمع المذكور : ومن

(١) راجع تاريخ مجمع خلقيدونية بالعربية باب ١٨ : ٨٤ و ٨٥ وتاريخ الكنيسة الميريانية الانطاكية ج ٢ ص ١٠٨ - ١٠٩ و ١٥٩ - ١٦٠ .

الذي كتب طومس لاون الذي طفقوا يطلبون قراءته ؟

هذا ما لاحظته القضاة فزجروا باسكاسينوس نائب لاون الروماني بقولهم « ان كنت بمقام قاض لا يصح لك ان تدعي كالمشتكي » . فلاذ بالصمت اثر هذا التبكيت (١) .

حينئذ قدّم اوسابيوس اسقف دوريليوم المحروم شكواه ومضمونها ان البابا دبوسقوروس هو رفيق اوطاخي ، وقد حكم عليه وعلى فلايانوس اسقف القسطنطينية ظمما . فاجاب دبوسقوروس « سيبدو الحق واضحا عند قراءة اعمال مجمع افسس الثاني اذ دوت فيه كل الامور بوضوح تام » .

فأمر القضاة بقراءة رسائل الملكين تاودوسيوس وفالنتيانوس الى البابا دبوسقوروس يدعوانه بالحضور الى افسس ، ورسالة الملك تاودوسيوس اليه ايضا بخصوص حضور رئيس الدير مار برصوم السرياني . وقال قسطنطين كاتب الديوان الملكي انه توجد رسائل اخرى لاساقفة آخرين تدعوهم الى الحضور فلم يترث القضاة حتى تقرأ هذه الرسائل ولكنهم صرحوا بدخول تاودوريطوس اسقف قورش الى المجمع « لكون لاون الروماني رده الى كرسيه والملك امر بحضوره المجمع » كذا . ولما دخل قال اساقفة مصر واليريا وفلسطين « ارحمونا يا قوم الان باد الايمان ، اعلموا ان القوانين تطرد هذا خارجا فاطردوه

انتم عنا » . ولكن القضاة لم يعيروا لاقوالهم اهمية بل خضعوا للرأي الغوغاء ، الشامسة النساطرة الذين كانوا في هذا المجمع اكثر من الاساقفة والذين كانوا يهيجون ويموجون لاجلاس تاودوريطوس في المجمع . وهذا ما حدا باساقفة مصر ومن معهم على ان يقولوا للقضاة « أفا الشامسة كانوا الاولين في تثبيت القضية فلماذا بصرخون الان ؟ فالمجمع ليس هو اجتماع شامسة بل اجتماع اساقفة ، فاطردوا الى خارج من ليس له كلام في المجمع ومن ثبت القضية يحضر في وسط المجمع لاننا نحن ثبتناها من بعد تثبيتهم لها » .

واستأنف الكاتب قراءة بقية اعمال مجمع افسس الثاني وعندما انتهى من تلاوة رسائل الامبراطور الامرة بانعقاد المجمع قال دبوسقوروس « لقد اتضح مما تبلي على مسامعكم ان الملك ثيودوسيوس ، لم ينط امر المجمع بي وحدي بل ولي معي في القضاء يوبينايليوس وتلاسيوس ، فلماذا اذن ينسبون الي وحدي ما تم في افسس ؟ والواقع اننا كنا متساوين في السلطان ، وان ما اصدره المجمع من قرارات قد وافق عليه جميع الاساقفة فاقروا باصواتهم ووقعوا بايديهم واخبرنا الملك بذلك وهو ثبت بامر عال كل ما حكم به المجمع المقدس » (١) . فأجاب بعض الاساقفة الشرقيين قائلين « اننا لم نوافق على قرارات المجمع السالف الا مرغمين

(١) انظر المراسيم الملكية في تاريخ مجمع خلقيدونية باب ١٨ : ٨٩ وانظر تاريخ سوريا للديبس ج ٤ : ٤٠٥ وتاريخ الكنيسة المريانية الانطاكية ج ٢ ص

ولم نحكم على فلايانوس من تلقاء انفسنا ، اغضبونا وارعبونا بالضرب فامضينا قرطاسا ابيض ونحن محاطون بالجنود شاهري السلاح .
فأجابهم اساقفة مصر قائلين « ان المسيحي لا يخاف من احد . جندي المسيح لا يهرب القوة التي لا تخيف سوى الجبان . اثبتوا بالنار الى هنا ونحن نعلمكم كيف يكون الاستشهاد . لو كان الشهداء يخافون الناس لما فازوا بالشهادة » .

واستأنف الكاتب قراءة اعمال المجمع ولما وصل الى قول الاساقفة « ان جدد احد يكون محروما ، ان فحص احد في ايمان القديسين السالفين يكون محروما ، فلتحفظ امانة الاباء الاطهار » قال اساقفة الشرق ، « لم نقل هذا » واتهموا كنيته ديوسقوروس بانهم وحدهم الذين كتبوا الاعمال فسأل القضاة عن كاتب النسخة التي بين ايديهم . فقال ديوسقوروس « كل واحد من الاساقفة كان له كنيته كتبوا نسخته » . فأقر بذلك يوبينايليوس وثلاسيوس واسقف قورنشس وغيرهم . فقال ديوسقوروس فلم قالوا عن كنيته كتبوا الاعمال .

ثم امر القضاة بتلاوة بقية الاعمال ، وعندما بلغ القاريء اعتراف اوطاخي الذي قدمه الى مجمع افسس الثاني ومصادقة الاساقفة على ارثوذكسيته ، ومن بينهم باسيليوس اسقف سالوقيا ، انكر هذا مصادقته . فتألم ديوسقوروس لكذبه وقال « لست ادري ما الذي يدعو باسيليوس الى انكار خطابه المحرر في دفتر الاعمال وهو يعلم انه انما صادق على تعليم صحيح قدم الينا » ثم استطرد قائلا « اذا كان اوطاخي

قد جحد العقيدة الصحيحة التي دونها في رسالته ، ونادى بتعليم غريب فهو لا يستحق العقاب فقط بل هو جدير بان يحرق بالنار . اما انا فلا ازعزع قيد ائمة عن ايمان الكنيسة الجامعة الرسولية ، اني لا اهتم الا بخلاص نفسي وبالحفاظة على العقيدة الصحيحة والايمان المستقيم » .

واستأنف الكاتب القراءة ، فسر ما نادى به باسيليوس السالوقي الآنف الذكر اذ قال « اني احرم كل من يفصل المسيح الواحد ، بعد اتحاد لاهوته بناسوته ، الى طبيعتين او اقنومين او جوهرين ، ولا يسجد لطبيعة واحدة هي طبيعة الابن الوحيد المتجسد » وعاد الاسقف فأنكر ايضا اعترافه بهذا القول . وعندئذ سأله القضاة عن سبب حرمة لفلايانوس ان كان يعتقد باعتقاده ، فقال « ان حكمي كان لاحقا لحكم مائة وعشرين او مائة وثلاثين اسقفا ، فالتزمت ان اطاعهم في الامور التي فرضوها » .

فنظر اليه ديوسقوروس وقال الان كذبت الكتاب القائل « من فمك تبهر ومن فمك تدان » (مت ١١ : ٣٧) ، لقد استحييت من الناس فتجاوزت حدود الصلاح واهنت الايمان ، لعلك ما سمعت ما كتب « لا تتجمل من شيء يهلكك » .

فتأثر الاساقفة المدعون زورا وبهتانا على ديوسقوروس من تأنيبه اياهم ، وضعفوا امام قوة حججه وسديد براهينه ، فلم يجدوا بدا من التسليم ، فوقفوا في المجمع قائلين (كلنا اخطأنا وكلنا نطالب المغفرة) . وهنا جابهم القضاة قائلين لهم « لماذا ذكرتم سابقا انكم اضطررتم

رغمًا عنكم وقهرا ان تكتبوا اسماءكم في قرطاس ابيض في عزل
فلايانوس ؟ فلم يتمكنوا الا من تكرار اعتذارهم الاول قائلين « كلنا
اخطأنا وكلنا نطلب الغفران » .

ومن الغريب انه بينما يمترض الخلقيدونيون على ديوسقوروس بعدم
السماح لاوسايبوس اسقف دوريليوم بدخول مجمع افسس الثاني ، راح
بسمحون ثاودوريطس النسطوي الاسقف المقطوع بالحضور في مجمع
خلقيدونية ، الامر الذي حدا بالابا ديوسقوروس ان يصيح فيهم قائلاً
« انتم تثلبونني كاني تعديت القوانين . فهل انتم تحفظونها في ادخال
ثاودوريطس ؟ اجابه القضاة « ثاودوريطس دخل بصفة مشتك » قال
ديوسقوروس « ولأني سبب جلس في درجة الاسقفية » ؟ قالوا ان
اوسايبوس و ثاودوريطس جلسا في صف المشتكين .

وقد اوضح ديوسقوروس عدالة الحكم على فلايانوس اذ قال « هو
امر واضح ان فلايانوس عزل ، لانه قال بطبيعتين بعد الاتحاد ، وعندني
شهادات من اقوال الاباء القديسين ، من اثناسيوس وغريغوريوس
وكيرلس ، انه لا ينبغي القول بطبيعتين بعد الاتحاد ، بل طبيعة واحدة
فه الكلمة المتجسدة » .

قال اساقفة الشرق « هذا قول اوطاخي هكذا يقول ديوسقوروس ،
قال ديوسقوروس « لسننا نقول بالاختلاط ولا بالامتزاج ولا

بالاستحالة » (١) .

بهذا القول الصريح نفى ديوسقوروس عن ذاته التهمة التي الصقها
به اعداؤه بانه رفيق اوطاخي بالايان . واثبت ان اقراره بالطبيعة
الواحدة انما هو نتيجة الاقرار بالاتحاد الطبيعي . اما تعليم اوطاخي
بالطبيعة الواحدة فهو نتيجة اقراره بالامتزاج والاستحالة والاختلاط ،
والفرق عظيم بين كلا الاقرارين (٢) ولولا ذلك لما رأينا اباء الكنيسة
القديسين الذين رفضوا مجمع خلقيدونية كرا طيمثاوس الثاني الاسكندري
وسويوريوس الانطاكي و ثاودوسيوس الاسكندري وفيلكسينوس
المنبجي وبطرس الثاني الانطاكي ويعقوب السروجي واسحق الانطاكي
وغيرهم ، يجرمون اوطاخي كما يجرمون نسطور ، وهذه كتاباتهم تشهد

(١) كان هؤلاء قد افتروا قديماً مدعين ان رجال ديوسقوروس ورهبان
ارطاخي وعددهم ثلاثمائة ، والخنود اكرههم على عزل فلايانوس وتوعدوهم
بالهروب والنفي وارعبوهم باليوف والعصي فوقوا ورقة بيضاء ، حتى حصص
الحق ولم يجدوا بداً من الاقرار بخطأهم . وقد لفظ يمثل تلك الاقتراءات معظم
الكنيسة البيزنطيين الاولين ومن نسج علي منوالهم ، وما زال يلفظ بها بعض
المتأخرين منهم ، كالدكتور اسد رستم في كتابه « الروم » ج ١ ص ١٢٦
« وكنيسة مدينة الله انطاكية » ج ١ ص ٣٣٤ وقد ضمن الاخير فضلاً عن
اقتراءات كهذه آراء اخرى نسطورية وبروتستانتية ولايقينية ، كما عزا غيرها
زوراً الى مصادر هي خالية منها وتلفيقات اخرى اشبه بخرافات عجائزية .
١ « راجع عن هذا كله تاريخ مجمع خلقيدونية بالمرية طبعة رومية والخريدة النفيسة
ج ١ ص ٥٢٨ وتاريخ الكنيسة المريانية الانطاكية ج ٢ ص ١٥٨ - ١٧٥ .
(٢) الخريدة النفيسة الجزء ١ ص ٥٣١ وتاريخ الكنيسة المريانية الانطاكية
ج ٢ ص ١٧٣ و ١٢٩ و ٣١٣ .

لهم (١) . وعلى منوالهم نسجت الكنيسة الارثوذكسية الجامعة المقدسة الرسولية . ومن هذا ينفضح كذب بعض المؤرخين القدامى والجديد من البيزنطيين والغربيين الذين يلصقون هرطقة اوطاخي بكنيستنا المقدسة . قال المؤرخ المدقق موسهيم « ان اوطاخي اعتقد بان طبيعة المسيح الالهية امتزجت بالانسانية حتى صار المسيح بطبيعة واحدة الهية . غير انه لا يتضح جليا اكان ذلك اكيداً او غير اكيد . اما هذه العبارة مع اسم اوطاخي فقد تركها ورفضها مقاومو المجمع الخلقيدوني الذين اقتادهم زينون وبطرس القصار ولهذا يسمون ذوي الطبيعة الواحدة لا اوطاخين لان كل الذين يطلق عليهم هذا الاسم اعتقدوا ان الطبيعة الالهية والطبيعة الانسانية اتحدتا وصارتا طبيعة واحدة فقط ولكن بدون تحويل او امتزاج » (٢) .

اما تبرئة اوطاخي في مجمع افسس الثاني ، فلا يستدل منها بمخالفة المجمع له في العقيدة . نحن نعرف ان المجمع المسكونية السابقة لم تكن لتصدر احكامها على المبتدعين الا بعد ان تتأكد من انهم مصرون على التمسك باقوالهم المناقضة للايمان المستقيم . وحتى في هذه الحال كانوا يصدرون حكمهم متأملين ومتأسفين . اذ انهم كانوا يشنون اوساد المبتدعون الى التمسك بالعقيدة القويمة ، لكي يصدروا حكمهم ببرائتهم ومجمع افسس الثاني لم يخرج على هذه القاعدة الجمعية في تبرئة اوطاخي

لقد ناقشه الاباء في عقيدته شفاها فافروا واعترفوا بالايمان السليم ، ثم قدم الى المجمع صورة ايمانه مكتوبة بخط يده ، فاذا بها ارثوذكسية صحيحة . فماذا على المجمع بعد هذا . او لم يكن مضطراً الى اصدار حكمه ببرائه .

كان على الخلقيدونيين ان يعترضوا على ديوسقوروس واباء مجمع افسس الثاني لو انهم رأوا في اعتراف اوطاخي الكتابي والمدون في اعمال المجمع ما يخالف ايمان الاباء القديسين والكنيسة الجامعة . اما ان اوطاخي قد عاد الى بدعته ثانية بعد تبرئته وبمدا رفض المجمع ، فهذا ما لا دخل لديوسقوروس ولا بقاء المجمع فيه . اذ كان من الممكن ان تعاد محاكمة اوطاخي في مجمع آخر على اساس عودته الى بدعته . هذا علاوة على ان لاون اسقف رومية كان قد شجع اوطاخي قبل ان يحله آباء مجمع افسس الثاني ، ذلك انه انفذ اليه رسالة « يثني فيها على عنايته بامر الايمان ، ويدعوه فيها بالابن القس العزيز » كما اسلفنا (١) .

والنتيجة التي يمكننا استخلاصها من كل ما سبق هي ان ديوسقوروس بريء من كل ما نسب اليه في مجمع خلقيدونية من ادعاءات باطلة واقوال لا محل لها من الصحة . عندئذ قرر القضاة حل الجلسة الاولى من المجمع ورفعها الى ما بعد خمسة ايام (٢) .

(١) تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ج ٢ ص ٣٠٩ - ٣٣١ .

(٢) موسهيم قرن ٥ قسم ٢ فصل ٥ : ٢٣ .

(١) انظر هنا ص ١١ .

(٢) كتاب تاريخ مجمع خلقيدونية باب ٢٧ : ١٦٣ - ١٧١ .

الجلسة الثانية

واذ ضاق نواب رومية ذرعا بسديد اجوبة ديوسقوروس وتأكدوا من انه لو استمر الجمع معه بالاخذ والرد خرج منه ظافرا منتصرا : اتمهزوا فرصة غياب القضاة ، واتفقوا مع الاساقفة الشرقيين النساطرة وبعض الاساقفة الجبناء المتذبذبين ، وعقدوا جلسة سرية في اليوم الثالث من حل الجلسة الاولى ، اي قبل الموعد الذي حدده القضاة بيومين كاملين . ولم يعلموا بهذا القضاة ، ولا دعوا اساقفة مصر ومن معهم . ووضعوا حراسا على باب البيت الذي كان يتبعونه ديوسقوروس كي يمنعوه من الخروج اذا حاول ذلك . ثم ارسلوا يستدعونه لحضور جلستهم غير القانونية . وعندما قال لرسلهم « ان الحراس يمنعوني من الخروج » اجابوه بانهم سيخبرونهم ليسمحوا له بذلك وكما اراد الخروج كانوا يمنعونهم بحراهم . واستدعوه ثانية وثالثة فاخبرهم بأمر الحراس واخيرا حين علم بعدم حضور القضاة بينهم قال « لقد نظر الجمع والقضاة في امري فما الذي يريد مني الان ؟ هل يقصد ابطال ما حدث بحضور القضاة ؟ اني لا احضر هذا الجمع الا اذا حضره القضاة » (١) .

فاجتمع هذا النفر من الاساقفة الجبناء تحت ضغط وتهديد نواب اسقف روما ، ودون ان يجاججوا ديوسقوروس اصعدوا حكمهم

المفرض الزائف الذي جاء فيه « قد ظهرت وتحققت الامور التي صنعها ديوسقوروس ... فقد قبل اوطاخي بخلاف ما تأمر به القوانين ... واستخص لذاته الولاية قهرا .. ولم يأذن ان تقرأ رسالة لاون صاحب كرسي كنيسة رومية .. وقد دعاه الجمع ثلاث مرات بموجب القوانين الكنائسية فخالف امره وابى السير اليه ... فلاجل ذلك لاون الحبر الاقدس بواسطتنا .. قد نزع عنه درجة الاسقفية وعزله من خدمة الكهنوت ، فالان هذا الجمع المقدس يحكم في دعوى ديوسقوروس بما رسمته القوانين (١) كذا... »

واعلنوا هذا الحكم حالا ، فاحتج قضاة الجمع على هذا الاستبداد وطلبوا سحب اعلان الحكم ، فلم يفلحوا اذ قد جاء هذا الحكم مشبها لنهم بلخارية وزوجها مرقيان ورغبتهم الجارحة بالانتقام من ديوسقوروس .

وها نحن اليوم نضع هذه الحوادث الشائنة ، بل المهازل الدامية ، امام الضمير المسيحي النقي ، نضعها مجردة من كل تعليق معتمدين بسردها كما ذكرنا ، على تاريخ مجمع خلقيدونية من وضع الخصوم انفسهم .

فما حكمكم على الحكم الجائر الذي صدر في جلسة سرية غير قانونية وفي موعد مخالف لما نص عليه الجمع في جلسته الاولى ؟ ومن هيئة لا

(١) كتاب تاريخ مجمع خلقيدونية باب ٢٨ : ١٧١ - ١٧٦ و تاريخ الكنيسة
المرائية الانطاكية ج ٢ ص ١٧٦ .

تمثل مجعاً مسكونياً ، بل اغلب أعضائها محكوم عليهم في مجامع مسكونية سابقة قانونية لتمسكهم بعقيدة نسطور ؟ وبعدم حضور القضاة ، ونواب الملك ، والاساقفة الأرثوذكسيين ، وصدر الحكم الزائف غيائياً رغم وجود المدعى عليه قريباً من مقر الجلسة وصدر بناء على تهم تثبت براءته منها في الجلسة السابقة بحضور المجمع بكامل هيئته. إذ اعترف المدعون آنذاك قائلين : « أخطأنا ونطلب الغفران » ، وحتى في هذه الجلسة لم يدعوا قط لا في تهمهم الباطلة ولا في حكمهم ، بأن ديوسقوروس قد انحرف عن الإيمان القويم ، أي المسألة الوحيدة التي تجيز الحكم على الاساقفة بالقطع ، وقد أثبتوا براءة ديوسقوروس ومجعه منها ، واعترفوا بشرعية مجمع أفسس الثاني ، دون أن يعرفوا ، فمجمع أفسس كانت قد نزل دمنوس اسقف انطاكية وفلايانوس اسقف العاصمة بذنوب واحد ، وهو الاقرار بالطبعتين بعد الاتحاد الطبيعي الجوهرى . وقد شاهدنا من بين أعضاء مجمع خلقيدونية مكسيموس بدل دمنوس الذي كان لا يزال حياً واناطولIOS بدل فلايانوس المتوفى . واناطولIOS هذا كان مشرطناً من ديوسقوروس .

فاذا كان ما اجراه ديوسقوروس ومجمع أفسس الثاني في غير محله ، لماذا لم يردوا دمنوس الى كرسي انطاكية ويمزوا مكسيموس واناطولIOS ؟ فان رسامتها على حسب ما قرروه كانت بالطبع غير شرعية (١) .

١ [الخريدة النفيسة جزء ١ ص ٥٣٤ وتاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية

فمن مجرى حوادث جلستهم الاولى وهذه الجلسة غير القانونية ، يظهر لنا غرضهم البغيض وأنهم قد أثبتوا براءة ديوسقوروس ومجمع أفسس الثاني من حيث يدرون أو لا يدرون. فحكمهم عليه ساقطاً بالبداهة . وذكر بعض المؤرخين ان ديوسقوروس رغب في قراءة صورة إيمان المجمع الخلقيدوني ، فارسلت اليه ، فتلاها امام رهط من اساقفته وأذوجدوها جميعاً مخالفة لاقوال الاباء القديسين وإيمان المجمع المسكونية المقدسة ، كتبوا على هامشها من الجهات الأربع ، ما يظهر فسادها ، حارمين كل من يعتقد بها ، ويتجاسر على تغيير العقيدة الأرثوذكسية الصحيحة أو يتلاعب بقوانين المجمع المسكونية (١) .

ثم امر مرقيان بنفي مارديوسقوروس الى غنغرة في بفلاغونيا من اسيا الصغرى ، وحاول الخلقيدونيون جهدهم ارغام اساقفة مصر الميامين على التوقيع على رسالة لاون وقرار مجمعهم ، فأبوا وعزموا على ان لا يترعزوا قيد شمرة عن الإيمان الصحيح ولو قدّموا اعناقهم في سبيل ذلك .

وهكذا ارفض مجمع خلقيدونية بعد ان غيّر الإيمان القويم وايدّ خلال نسطور القائل بالطبعتين للسيد المسيح بعد الاتحاد ، قاسماً المخلص الواحد الى اثنين ، شاطرا الكنيسة الواحدة الجامعة مشتتاً ابناءها بدلاً من ان يجمعهم ويوحدهم . فابتدأت منذ ذلك اليوم الشقاقات وعم التنافر بين الاحزاب ، وما زالت الكنيسة حتى اليوم تعاني الآلام من

١ [تاريخ الكنيسة القبطية للقس . منسى يوحنا ص ٣١٠ .

جاء ذلك الانقسام البغيض . كيف لا وقد اثير على اثره اضطهاد عظيم على من رفض مجمع خلقيدونية حتى ان فرطوريوس الذي اغتصب الكرسي الاسكندري ، قتل بواسطة الجنود البيزنطيين اربعة وعشرين الفا ممن تمسكوا بايمان الالباء القديسين ، اغلبهم اساقفة وقسوس ورهبان (١) وطرد بقية الاساقفة الارثوذكسيين من كراسيهم واقام مكانهم دخلاء . وقد بذلت الدولة الرومانية كل ما في وسعها من جهد ، في العزل والنفي والتنكيل ، لتجري قانون المجمع الخلقيدوني (٢) ، ولكنها باءت بالفشل الذريع . فان الايمان الارثوذكسي لم تخمد جذوته في قلوب هؤلاء الابطال الذين لم يرهبوا سطوة الرومان وقوتهم العسكرية حسبما شهد مؤرخو الخصوم انفسهم (٣) . واستنزأوا بالضيق ولم يبالوا بالنفي والطرد ، وكان في مقدمتهم من السريان البطريك الانطاكي بطرس الثاني الملقب بالقصار والقديس برصوم الناسك رئيس اديرة الشرق ، وفيلكسينوس المنبجي وسوريوس الانطاكي وغيرهم . وعقدت الكنيسة بعدئذ عدة مجامع حُرمت فيها قرار مجمع خلقيدونية وطُومس (رسالة) لاون . اخضعها مجمع القسطنطينية المسكوني الذي انعقد سنة ٤٧٦ بأمر الامبراطور باسيليسكوس وحضره ماربطرس الثاني البطريك الانطاكي والقديس طيمثاوس الثاني البطريك الاسكندري

١ « تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ج ٢ ص ١٩٥ - ١٩٨ نقلًا عن المؤرخين الثقات .

٢ « كلدو واثورج ٢ ص ١٣٣ .

٣ « فيه ص ١٣٢ - ١٣٣ .

ونحو خمسمائة اسقف . ثم اصدر باسيليسكوس مرسوماً ضد المجمع الخلقيدوني ورسالة لاون ، مثبتا عقيدة الطبيعة الواحدة للسيد المسيح بعد الاتحاد (١) وقّعه نحو سبعمائة اسقف (٢) .

وفي سنة ٤٨٢ انعقد مجمع آخر في القسطنطينية بأمر الامبراطور زينون ، واصدر قرارا قبلته كل من انطاكية والاسكندرية واورشليم والقسطنطينية ووقع عليه نواب اسقف رومية ، واثبته الملك زينون (بالهنوطيقون) اي منشور الاتحاد الذي كتبه بشاردة افاق البطريك القسطنطيني ووجّهه الى الاساقفة والمؤمنين في الاسكندرية وليبية والمدن الخمس . جاء فيه « نعلمكم ان اي بحث كان او تحديد ايمان آخر كان خارجا عن الامانة التي قررها الالباء الثلاثمائة وثمانية عشر ، فاننا نرفضه بل نجعله غريبا عنا ، لان هذه الامانة غير معابة ، وانها مستقيمة وقد ايدها الالباء القديسون المائة والخمسون بالقسطنطينية واتباعها آباؤنا القديسون الذين اجتمعوا مع القديس كيرلس وعزلوا المنافق نسطور وقبلوا ايضا الاثني عشر فصلا التي للطوباني كيرلس . ونحن ايضا نحرم نسطور واطيخنا الخيالي وكل من ظن بامانة اخرى خارجا عن الامانة التي سبقنا واخبرنا عنها . ونعترف بان الله الوحيد الجنس الهنا وربنا ومخلصنا يسوع المسيح الذي صار انسانا بالحقيقة ، المساوي لله بحسب اللاهوت وهو مساو لنا ايضا بحسب الناسوت الذي تنازل وتجسد من

١ « تاريخ الانشقاق جزء ٢ ص ٢٦٥ .

٢ « تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ج ٢ ص ٢٣١ - ٢٣٢ .

الروح القدس ومن مريم العذراء القديسة، هو ابن الله. وأما الذين يفرقونه أو يجعلونه اثنين أو يظنون فيه خيالا أو امتزاجا. فلا نقبلهم بالكلية لان المولود من العذراء لم يزد ابنا آخر، لكن الثالث ثبت ثلوثا ايضا من بعد ما صار كلمة الله الواحد من الثالث جسدا (١)...

نستنتج مما سبق ان الاعماء بالطبيعتين الذي اقره مجمع خلقيدونية كان دخيلا على تعاليم الكنيسة، ادخل اليها قسرا. فقاومه الاباء الميامين وقيل به على مضض بمض الاساقفة الجبناء، وعندما سنحت لهم الفرص انكروه. دليلنا على ذلك ان هنوطيقون زينون السابق لم تقبل به كنائس انطاكية والاسكندرية فحسب بل وكنيسة القسطنطينية ايضا. وهو لا يعترف الا بايمان المجامع المسكونية الثلاثة الاولى وبفصول كيرلس الاثني عشر التي تؤيد الطبيعة الواحدة لله الكلمة المتجسد.

ويطول بنا الشرح لو تتبعنا الحوادث التاريخية التي عقت هذه الحقبة وتطور الجدل من الطبيعة والطبيعتين الى المشيئة والمشيئتين، وكيف ان هرقل مثلا في القرن السابع، اقترح ان يُترك البحث بعقيدة الطبيعة والطبيعتين، وان يعمم الاعتقاد بمشيئة واحدة في الكلمة المتجسد، فوافقه اغلب الاساقفة ومنهم انوريبوس اسقف رومية الذي على اثر ذلك ارسل اسرجيوس بطريرك القسطنطينية يقول (انه من حيث المشيئة،

١ « تاريخ الكنيسة الميريانية الانطاكية ج ٢ ص ٢٤١ - ٢٤٢ والخريدة النفيسة ج ١ ص ٥٥٠ - ٥٥١ و ٥٥٣ - ٥٥٤ .

يعترف بمشيئة واحدة في المسيح (١). والاعتراف بالمشيئة الواحدة ينقض التعليم بالطبيعتين.

وان ما ذكرناه في هذه المجالة كاف لاقناع الباحث اللبيب بان الاعتقاد بالطبيعة الواحدة لله الكلمة المتجسد انما كان اعتقاد الكنيسة الجامعة منذ صدرها.

٤ - وحدة الاله المتجسد وآباء الكنيسة

لقد اعتقد آباء الكنيسة الاولون في جميع اجيالهم بوحدة الطبيعة لله الكلمة المتجسد كما ذكرنا، وتركوا لنا في هذا الموضوع ابحاثا واسعة وشروحا واضحة واعترافات صادقة نذكر في ما يلي بعضا منها :

١ - قال القديس غريغوريوس المجائي (٢٧٠ +) في كتابه عن الايمان « الله الحقيقي الذي بغير جسد ظهر في الجسد وهو تام في الالهوت الحقيقي الكامل، ليس له شخصان ولا هو طبيعتان ولا نقول اننا نعبده ربوعا. الله، وابن الله، وانسانا، والروح القدس » (٢).

٢ - عندما وضع آباء مجمع نيقية قانون الايمان انيقساوي المعروف

١ « الخريدة النفيسة ج ٢ ص ١٢٤ - وتاريخ الانشقاق جزء ١ ص ١٩٢ .

٢ « منارة الاقداس لابن العربي م ٢ ف ٢ ب ٤ ر ٤ والخريدة النفيسة ج ١ ص ٤٦٢ - ٤٨١ الالهوت لمبختايل ميئا جزء ١ ص ٣٤٢ .

عزوا الامور الازلية والزمنية ، والافعال الرفيعة والوضيعة معا الى الواحد هو السيد المسيح ، فقالوا : « اله حق من اله حق .. نزل من السماء وتجسد ... وصلب ... وتألم ومات ودفن وقام ... وصعد الى السماء » .

٣ - قال القديس اثنا سيوس الرسولي (٣٧٣ +) في رسالته الى الملك يوبيانوس « ينبغي ان نعتقد بطبيعة واحدة واقتنوم واحد لله الكلمة المتجسد المتأنس بالكمال . ومن لم يقل ذلك فانه يخاصم الله ويحارب الالاء القديسين » (١) .

وقال في مقالته عن التجسد « ان غير الجسد والجسد ، اشتركا بالاجتماع الى طبيعة واحدة ، وهو الله والانسان معا ، وهو لا يقبل تغييرا ولا استحالة ... بل اقنوم واحد ووجه واحد وفعل واحد وطبيعة واحدة لله الكلمة الذي صار جسدا » (٢) .

٤ - كتب يوليوس اسقف رومية (في القرن الرابع) في رسالته الى ديو نيسيوس اسقف قبرص يقول « الذين لا يعترفون بالاله الذي نزل من السماء انه تجسد من عذراء وانه واحد مع جسده يذهبون في قول المنافقين الذين يقولون على ما بلغني انه ذو طبيعتين . بالضرورة يلزم الذين يعتقدون بطبيعتين ان يسجدوا الواحدة ولا يسجدوا للآخرى » (٣) .

(١) منارة الاقداس المطلب الثاني الفصل الثاني الباب الرابع الركن الرابع المطالب النظرية للاسقف ايسدورس ص ١٨٨ .

(٢) فيها .

(٣) انظر تاريخ الانشقاق ص ١٩٣ والخريدة النفيسة ج ١ ص ٦٣ .

وقال فيما قل في احدى رسائله في موضوع « المساوي في الجوهر » « اننا لم نجد في الكتب الالهية فرقا بين الكلمة وجسده لكنها طبيعة واحدة واقتنوم واحد وشخص واحد وفعل واحد جميعه الله وجميعه انسان » . وقال ايضا « اذا كان الفاعل واحدا فيكون الفعل واحدا ايضا اعني حركة الفاعل » (١) .

٥ - قال مارافرام (٣٧٣ +) شمس السريان ونبيهم ، في ميمره في حجة الالام « قدموا للذراع الخالق العظيم قصبة الهزء ، وسمروا الشبر الذي مسح السماء على العود . ان الله كون بمسيحه البرايا وقد سمر اولاد آدم اليدين اللتين جلبتا آدم . قام الله في الحكمة وقبل اللطم في دار الحكومة ، نحن سمعنا ان الله لا يمكنه الاضطراب على سماع كلمة صغيرة وقد تعلق على العود فاغتازت الموجودات . ولقد شربنا سلافه وار تكينا العظمة » .

٦ - قال باسيليوس في تفسيره الاية الفائلة « ان الرب خلقتني » (اسنا نقول عن الابن الوحيد انه اثنان . ولا نقول ان « اتلاهوت » مفرد بذاته . ولا « الناسوت » بذاته بل نقول طبيعة واحدة واقتنوما واحدا . لان بطرس الرسول لم يذكر طبيعتين لكن اعترف وقال « ان المسيح تألم من اجلنا بالجسد » وايضا من جهة ولادته بالجسد بشر الملاك الرعاة قائلا

(١) المنارة م ٢ ف ٢ ب ٤ ر ٤ والمطالب النظرية ص ١٨٨ .

« انه قد ولد لكم اليوم مخلص المسيح الرب » (١) .

٧ - قال القديس غريغوريوس الشؤلوغس : « هو اقنوم واحد ؛ طبيعة واحدة سجدت له المجوس ، لان وحدانية الله الكلمة ليست بعدد طبائع ولا اقانيم فقد ولد من عذراء ، وحفظ ايضا عذرتها وبتوليها بلا تغيير ... هو ابن واحد . ليس للمسيح طبيعتان بعد الاتحاد ، ولا هو مفترق ولا مختلط في ما اجتمع من الجهتين ، لان طبيعة اللاهوت وطبيعة الناسوت اجتمعتا الى وحدانية » .

٨ - وقال القديس الذهبي الفم في المقالة الثالثة من تفسيره رسالة افسس « ولكنني ابين الامر ان الله الكلمة اخذ الانسان كله من طبيعتنا وهو كامل في كل شيء ، وله اقنومه فيه اعني الكلمة فلاجل هذا نقول عنه انه طبيعة واحدة ، الله الكلمة صار جسدا » .

٩ - قال القديس كيرلس الاسكندري « نعرف بان ابن الله هو اله بالروح وابن الانسان بالجسد ، وليس طبيعتين لذلك الابن الواحد احدها يسجد له والاخر لا ، بل لكلمة الله المتجسد طبيعة واحدة » .

وقال في رسالته الى ثيودوسيوس الملك « اننا لا نعري الناسوت من اللاهوت ، ولا نعري الكلمة من الناسوت بعد ذلك الاتحاد الغامض ، الذي لا يمكن تفسيره ، بل نعرف بان المسيح الواحد ، هو من شيئين

اجتمعا الى واحد مؤلف من كليهما ، لا يهدم الطبيعتين ، ولا باخلاقها بل باتحاد شريف في الغاية » .

وقال « ان الطبيعتين اتحدتا وان الكلمة صار انسانا وتجسد ونقول ان هذا الاتحاد طبيعي لنفي الغير الحقيقي والاضافي الذي لنا مع الله بالايان والقداسة ، لاننا صرنا شركاء الطبيعة الالهية (٢ بط ١ : ٤) (١) .

وقال في رسالته الى سوقيوس « اذا تأملنا الان في المسير الذي لا ضرر فيه قائلين ان الطبائع قبل الاتحاد طبيعتان واما بعد الاتحاد فلا نفرق الطبيعتين من بعضهما ولا نقول انها ابنان ولا نفصل ذلك الذي لم ينقسم ، بل نقول ان الابن واحد كما قال الاباء وكيان الله الكلمة المتجسد واحد (٢) .

وقال في الفصل الخامس من فصوله الاثني عشر « من يتجاسرو يقول ان المسيح انسان وقد سكن فيه الله ولم يقل انه اله بالحق وابن واحد بالطبيعة لان الكلمة صار جسدا (يو ١ : ٤) واشترك مثلنا في اللحم والدم (عب ٢ : ١٢) فليكن محروما (٣) .

(١) منارة الاقداس والمطالب النظرية ص ١٨٩ .

(٢) فيها

(٣) كالدو واثور ج ٢ ص ١٢٩ .

(٣) كما يؤسف له انه مع وجود هذه البراهين الناصعة يتجنى حضرة الدكتور اسد رستم على هذا القديس ويقول انه قال بطبيعتين « الروم » ج ١ ص ١٢٤ وتاريخ كنيسة مدينة الله انطاكية ج ١ ص ٣١٢ .

٥ - وحدة الاله المتجسد لاهوتيا

تعتقد الكنائس الارثوذكسية الانطاكية السريانية ، والاسكندرية القبطية والارمنية والحبشية ، بطبيعة واحدة ، واقتنوم واحد ومشية واحدة ، وفعل واحد لله الكلمة الازلي المتجسد بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير .

اما الكنائس اللاتينية واليونانية والبروتستانتية ، فتعتقد بان للسيد المسيح من بعد الاتحاد الطبيعي الجوهرى الحقيقي طبيعتين ، طبيعة لاهوتية تعمل ما يختص باللاهوت وطبيعة ناسوتية تعمل ما يختص بالناسوت .

فبينما تعترف كنيستنا باتحاد الطبيعتين لفظا وفعلا ، تنادي الكنائس الاخرى بانفصالها فعلا وان عمدت الى اتحادهما لفظا ، وبذلك تفرق بين المسيح الاله والمسيح الانسان ، اذ تنسب لللاهوت افعالا وللناسوت غيرها . كقول لاون الروماني في طومسه : « حقا ياتي المسيح الاثنان الاله والانسان الواحد يبهز بالمعجزات والاخر ملقي للاهانات » بينما تنادي كنيستنا بان كل ما يتعلق باللاهوت وكل ما يتعلق بالناسوت ينسب على حد سواء الى الكلمة المتجسد دون تفریق . مستندة بذلك الى حجج ساطعة ، وبراهين قاطعة ، كتابية ، ومنطقية ، وتاريخية ، والى شهادة الخصوم انفسهم .

والكي تزيد هذا الموضوع العويص وضوحا ، لا بد لنا ان نعرف ما

هي الطبيعة . وما هو الاقتنوم . وما يقصد بالاتحاد الاقتنومي الطبيعي . عرف الفلاسفة الطبيعة بقولهم الطبيعة : تطلق على ماهية الشيء (اي حقيقته وذاته) فنقولنا طبيعة الله اي الله ذاته . اما الاقتنوم فهو يطلق على قيام ذلك الشيء بذاته . او بمباراة اوضح الاقتنوم جوهر روحي شخصي لطبيعة قابلة للاشتراك بكثيرين شأنه يقيمها بذاتها ويجبر عن الاشتراك (١) اي ان الاقتنوم هو الذي يميز الاشخاص من بعضهم فيميز بطرس من بولس وبولس من حنا .

والاقتنوم ، اعم من الشخص . لان السريان يعرفونه بانه الجوهر الخصوص ، او الطبيعة المخصوصة بخاصة . فيتناول الخالق والخلق معا . اما الشخص فيتناول الخلق فقط . فاذا تخصصت الذات كانت اقتنوما سواء كانت ذات الباري او غيرها ، واذا تعميت الصفة كانت شخصا (٢) .

وذكر العلامة مارغريغوريوس ابن العبري في موسوعته اللاهوتية (منارة الاقداس) قال: في عرفنا نحن الكنيسيين ، كل جوهر طبيعة ، وكل طبيعة جوهر لان الطبيعة عندنا لا تحمل على الاعراض لكن الاعراض قائمة في الطبيعة اما عند الخوارج فيكل جوهر طبيعة ، وليس كل طبيعة جوهر . فالاعراض نفسها في ذاتية طبيعتها عندهم مختلفة عن بعضها . والطبيعة

١ (علم اللاهوت لميخائيل مينا جزء ١ ص ٣٢٤)

٢ (المطالبات النظرية ص ١٠٤)

عندنا وعند الخوارج ، اما عامة او خاصة ، فالطبيعة الخاصة .
تسمى اقنوما ، وعليه فلا يمكن للطبيعة ان توجد بدون اقنوم فعلا ،
انما في الكينونة فقط . اما الاقانيم الكثيرة فليس من المستحيل ان
توجد في طبيعة عامة تجمعهم (١) .

وقال الاسقف ايسيدورس : « الطبيعة ، بالقياس الى الخلقوقات
المعقولة او المحسوسة تعم وتخص فاذا عمت تناولت كل افراد النوع
كبطرس وبولس ويوحنا من نوع الانسان ، والفرس والسبع والحمار
والقط من نوع الحيوان ، وميخائيل وجبرائيل من نوع الارواح ، واذا
خصت تناولت الشخص او الفرد الواحد من النوع كبطرس فقط من
نوع الانسان والفرس فقط من نوع الحيوان وميخائيل فقط من نوع
المعقولات .

وقل احدهم ، (حيث يوجد الجوهر وجد معه الخصوص والعموم .
فان كل الخصوص كان الجوهر ذا اقنوم واحد . وان كان العموم كان
ذا اقانيم كثيرة) .

وقال ايضا : « الذات او الطبيعة او الجوهر بخاصة هي الاقنوم او
الشخص ، ولهذا لا يمكن ان يكون جوهر او طبيعة او ذات بدون
اقنوم بالفعل ما عدا في العقل » (٢) .

(١) الركن الرابع الفصل الاول .

(٢) المطالبات النظرية ص ١٠٥ .

ما معنى الاتحاد

الاتحاد عامة هو مصير شيئين او اكثر شيئا واحدا . اما الاتحاد في
علم اللاهوت فهو اجتماع يحصل بدون تغيير في طبيعة الجوهر التي
تكون متحدة اي لا يقبل في ماهياته التغيير ولا الاستحالة ولا التفسد
كاتحاد النفس بالجسد اللذين لا يشوبها ادنى اختلاط او امتزاج واتحاد
النار بالحديد ، والكهرباء بالسلك .

فكل من النفس والجسد يحفظ ما يخصه بالاتحاد الذاتي مثال ذلك ،
لو ان النفس استحالت الى حيث الجسد ، لادم منها النطق والعقل وباقي
الافعال المختصة بها ، وبقيت مثل الحيوان . وكانت تهلك عند الموت ،
وتصير ترابا . ولو ان الجسد استحال الى حيث النفس ، لكان لا يحتاج الى
اكل وشرب . فكل منهما حفظ ما يخصه بالاتحاد الذاتي .

والنفس اللاطيفة باتحادها بالجسم الكثيف تؤثر فيه ولا تتأثر منه ،
اذ اوصلت له ما لها من الحياة وشرفته عن طبع الحيوان بالعقل والنطق ،
فقام الانسان من جوهرين ، جوهر حيواني ارضي وجوهر سماوي
فصارا كيانا واحدا وجوها واحدا لاتحادها الذاتي ، فمهما وقع من
الحوادث بجزء من هذا الكيان الواحد المركب من جزئين ينسب
لكليته ، مع ان بعض الافعال لا تقع الا بالنفس وغيرها لا تقع الا بالجسم
او بجزء من احد اجزائه المؤلفة له . ولكن لما كان مركبا وقائما كيانا
واحدا من الاجزاء المتحدة اتحادا ذاتيا طبيعيا ، فمهما نال احد اجزائه

امرا ينسب للاجزاء الاخرى ، كقولنا ، يوحنا اكل او شرب او نام او سالم مهندس او محام او ميت او حي .

قال القديس كيرلس بطريرك الاسكندرية « فأخذنا لنا مثالا لاتحاد اللاهوت بالناسوت كاتحاد النار بالحديد ، وان كانا طبيعين مختلفين ، فباتحادهما صارا طبعاً واحداً . لا ان طبع النار استحال فصار حديداً ، ولا ان طبع الحديد استحال فصار نارا ، بل نار اتحدت بحديد هي النار وهي الحديد ... وان الحديد اذا ضرب بالمرزبة هي النار المضروبة والحديد الذي يتألم . والنار لا تتألم (١) .

وقال ايضا في رسالته الى لوكيطس اسقف قيسارية (يجب ان نأخذ لنا مثالا من طبعنا نحن البشر لاننا مخلوقون من نفس وجسد وهم طبيعتان مختلفتان قبل الاتحاد ، وباتحادهما صارا انساناً واحداً بطبع واحد لم تتغير النفس عن طبعها باتحادهما بالجسد ، فصارت جسداً ، ولا الجسد صار نفساً ، بل النفس والجسد طبعاً واحداً ، وانسان واحد (٢) .

هكذا نفهم اتحاد اللاهوت والناسوت في المسيح الواحد . وهذا ما قصده الكتاب العزيز بنصوصه الالهية ، والاباء الاطهار باقوالهم الشريفة وهذا ما يفهمه المنطق السليم ويؤمن به العقل . ولا يمكن ان نطلق

(١) الباب الرابع من كتاب المجامع المخطوط لابن المقفع .

(٢) « فيه . وكتاب ديونيسيوس لقسار ارمانيوس حبشي شتا الجرماني

ص ١٨٦ و ١٨٧ .

التثنية على جوهرين بعد اتحادهما . فبعد اتحاد اللاهوت بالناسوت بطلت منها التثنية في الاسماء . كما ان اتحاد النفس والجسد في الانسان الواحد لا يقال لهما بعد الاتحاد حيوان وناطق بل حيوان ناطق . ولم نجد مثالا اقرب الى العقل من هذا تقريبا لاتحاد لطافة الكلمة بكثافة ناسوته . فبعد الاتحاد لا يقال الانسان والاله ، ولا الاله والانسان ، بل الانسان الاله ، والاله الانسان . وبعبارة الكتاب المقدس « الاله الكلمة المتجسد »

٦ - وحدة الاول المتجسد والكتاب المقدس

مر بنا سابقا ان اتباع مجمع خلقيدونية بينما يعترفون باتحاد طبيعي السيد المسيح ، اللاهوتية والناسوتية ، لفظاً ، ينادون بانفصالهما فعلاً . ويفسر اعتقادهم هذا ما ورد في رسالة (طومس) لاون القائل « حقا يأتي المسيح الاثنان الاله والانسان ، فالاول يهر بالمعجزات والاخر ملقى الالهات » . وهذا الاعتقاد بعيد عن روح الكتاب المقدس بعد الثريا عن الثرى . فكتاب الله العزيز لم يفرق بين طبيعتي السيد المسيح واقتنوميه . ونصوصه الالهية تظهر جلليا وحدة الطبيعة للاله المتجسد ، اذ تنسب له الافعال الرفيعة والوضيعة مما ، واحيانا تعزو فعل الازلي للزمني والزمني للازلي غير مميزة او مفرقة افعالا من افعال . والسبب في ذلك هو ان كل ما فعله السيد المسيح انما يعزى الى الواحد وهو الاله الكلمة المتجسد .

١ - قال يوحنا اللاهوتي على لسان السيد المسيح ، انا هو الاول

والآخر ، الحي وكنت ميتا ، وها انا حي الى ابد الابدن (روء ١ : ١٧) . فالتحدث هنا هو اللاهوت الازلي الابدني ، ولكنه يقول ايضا (كنت ميتا) مع ان موت الكلمة المتجسد لم يقع بالفعل على اللاهوت بل وقع على الناسوت . ولكن لفظة (انا) في بدء الآية ونهايتها دليل قاطع على وجود الطبيعة الواحدة للكلمة المتجسد ، وهي التي سولت للمتحدث ان يعزو الحياة والموت لذاته . ولا عجب فالكتاب المقدس يعزو الموت الى النفس بسبب اتحادها بالجسد . مع ان النفس خالدة ، والموت يقع على الجسد . فقد ورد في التوراة « فتعينون لانفسكم مدنا تكون مدن ملجأ لكم ليهرب اليها القاتل الذي قتل نفسا سهواً » (عدد ٣٥ : ١١) وكقول صاحب الامثال (اما هم فيكتمون لدم انفسهم . يخفون لانفسهم أم ١ : ١٨) فلا نخرج عن اسلوب الروح وقوة الكتب المقدسة بقولنا ان الاله تألم وصلب ومات ذلك لان اللاهوت والناسوت بعد الاتحاد الطبيعي الجوهرى اصبحا واحدا .

٢ - قال السيد المسيح « قبل ان يكون ابراهيم انا كائن » (يو ٨ : ٥٨) فالذي كان قبل ابراهيم هو اللاهوت لا الناسوت ، لان الازلية هي من صفات اللاهوت . ومع هذا فالتحدث هنا هو الناسوت الذي له بدء والحديث يدل على ازليته التي هي من صفات اللاهوت . فلم يقل لاهوتي كائن بل « انا كائن » وفي ذكر كلمة « انا » عن ذاته دليل قاطع على وحدة الطبيعة في الكلمة المتجسد . « فانا » بديها لا تقبل التثنية بتاتا .

٣ - قال الرسول بولس « لوعرفوا لما صلبوا رب المجد » (اكو ٢ :

٨) ان الذي كان منظورا على الصليب هو ابن الانسان - الناسوت - ولكن الآية تقول ان المصلوب هو رب المجد نفسه ، وهذه التسمية لا يمكن اطلاقها على انسان بسيط ، فرب المجد هو آله حق . وفي الآية منتهى الدقة في التعبير اذ ان رب المجد الواحد في طبيعته وهو عينه صلبه اليهود . ولو صلبوا انسانا بحتا لما رافقتهم اللعنة في كل اجيالهم ، ولكننا بعمد في الخطيئة ، ولما تمت الغاية من تجسد الاله الكلمة ، والتي هي خلاص البشر من عبودية الموت والشیطان والخطيئة ، اذ ايس من المقبول عقلا ان يستطيع هذا الناسوت مها كان طاهرا ان يمحو صك المعصية الاولى لو لم يكن متحدا فعلا باللاهوت ، الذي اعطاه القيمة الكبرى التي تتناسب مع اهمية عمل الفداء وابقاء العدل الالهي حقه . وباشتراك اللاهوت مع الناسوت في الآلام والصلب والموت لم يتأثر جوهره . فالانسان الماركة من النفس والجسد ، قد يقع على نفسه احيانا بعض الآلام فيتأثر الجسد من ذلك ويمرض . وحيانا تقع الآلام والوجاع على جسد الانسان كبر اعضاءه فتشترك معه الروح في الآلام ، وفي كلا الحالتين لا يمكن ان ينقص شيء من الروح في جوهرها بالرغم من ان الجسم يتناوب النقصان ، وعلى هذه الصورة يكون اللاهوت قد اشترك مع الناسوت في الآلام اشتراكا ادبيادون ان ينقص شيء من جوهره . وهذا ما فهمه الآباء القديسون وملفنة الكنيسة منذ العصور الاولى . قال مار اسحق الانطاكي في مبمره بالسريانية عن الايمان : ان نخر الكنيسة هو ان الاله

مات على الصليب .

٤ - وقال الرسول بولس ايضا « ان كنا ونحن اعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه فبالاولى كثيرا ونحن مصالحون نخلص بحياته » (رو ٤ : ١٠) اليس ابن الله آلهة ؟ فكيف يمكن ان يموت ابن الله ؟ فالرسول لم يفرق بين اللاهوت والانسوت بآيته هذه اذ يقول « ان الله صالحنا بموت ابنه » اي موته بالجسد لاجلنا ، وبذلك اثبت وجود الطبيعة الواحدة والفعل الواحدة للكلمة المتجسد .

٥ - وقال يوحنا الانجيلي « هكذا احب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد » (يو ٣ : ١٦) ، وهذه الآية لا تفرق شيئاً عن الآية السابقة فانها تظهر محبة الله للعالم في بذل ابنه ، ولا يمكن ان يقال ان المبذول هو الناسوت فقط ، لان المقصود في هذا النص هو ، ابن الله الوحيد . ولا يمكن ان يقال ان المبذول هو لاهوت الابن فقط ، لان البذل وقع فعلا على الناسوت . اذن تكون النتيجة ان المقصود بذلك هو الابن الكلمة المتجسد بطبيعته الواحدة واقتنومه الواحد .

٦ - قال الرسول بولس « احترزوا اذا لانفسكم ولجميع الرعية التي اقامكم الروح القدس فيها اساقفة لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه » (أ ع ٢٠ : ٢٨) . فهل المقصود هنا هو دم الله ؟ فالله روح والروح ليس له لحم ودم . اذن هل تم عمل الفداء بدم الناسوت فقط ؟ فهاهي اهميته للعالم ؟ ولماذا ينسب النص الدم لله ؟ النتيجة ان الفداء تم بواسطة الابن الكلمة المتجسد ، ونسبة صفات احدي الطبيعتين للآخرى ، كما في

الآية : دلائل قاطع على وحدة الطبيعة قولاً وفعلًا .

٧ - قال يوحنا الانجيلي عن السيد المسيح « ليس احد صعد الى السماء . الا الذي نزل من السماء ابن الانسان الذي هو في السماء » (يو ٣ : ١٣) فلقب ابن الانسان اطلق على الابن الكلمة بعد تجسده . والرسول هنا ينسب اليه النزول والصعود الى السماء ، وهما من عمل اللاهوت لان الذي نزل من السماء هو لاهوته لاناسوته الذي اخذ من العذراء مريم . اذن صح نسبة النزول والصعود الى السماء الى ابن الانسان ، لاتحاد اقنوم الكلمة الازلي مع الجسد الزمني وصورتهما طبيعة واحدة . وفي ذكر كلمة « الذي » عن ذاته دعم لما ذكرنا .

٨ - قال بولس الرسول « يسوع المسيح هو هو امساوا اليوم والى الابد » (عب ١٣ : ٨) وهذه الآية تشبه سابقتها اذ ان لفظة « يسوع » هي الاسم الذي اتخذه الكلمة عند تجسده ، والآية تنسب له صفة الوجود الدائم التي هي من صفات اللاهوت . وفي ذكر كلمة « هو » مكررة عن ذات يسوع ، تأكيد الدلائل على وجود الطبيعة الواحدة والاقتنوم الواحد لله الكلمة المتجسد .

٩ - قال يوحنا الرسول « الابن الوحيد الذي هو في حضن الاب هو خبّر » (يو ١ : ١٨) فالابن الوحيد الذي خبر هو الانسان المنظور الذي رآه الانجيلي وسمعه . والان يقول عنه هنا انه « هو » عينه موجود في حضن الآب . ولا يجوز ان يكون هذا الابن الوحيد واحدا بالعرض بل بالجوهر . فاذا بموجب النص والعقل هو واحد في الجوهر كما انه

ابن واحد ، له اقنوم واحد ، وطبيعة واحدة . وفي ذكر كلمة « هو » مكررة عن ذات الابن تأكيد الدليل على وحدة الطبيعة .

١٠ - عندما اعتمد الكلمة المتجسد من عبده يوحنا في نهر الاردن سمع الصوت الالهي من السماء موجها اليه قائلا « هذا هو ابني الوحيد الذي به سررت » (مت ٣ : ١٧) فهل قصد بانه ابنه بالناسوت فقط ؟ لان الناسوت كان يعتمد . والناسوت بمفرده لا يصلح ان يكون ابنا طبيعيا لله الاب . كما لا يمكن ان يقال ان المقصود هو لاهوت الابن ، لان النطق الالهي صدر عندما كان السيد المسيح قائما في الماء ، والحمامة نزلت على هامته ... فالمقصود بذلك اذن هو الابن الكلمة المتجسد بطبيعته الواحدة المتحدة .

١١ - قال الرسول بولس « لان الله نفسه بنعمته ذاق الموت لاجل كل واحد لانه لاقى بذاك الذي من اجله الكل وبه الكل وهو آت بابناء كثيرين الى المجد ، ان يكمل رئيس خلاصهم بالآلام » (عب ٢ : ١٠ و ١١) . فالرسول بقوله ، الله نفسه بنعمته ذاق الموت لم يفرق بين اللاهوت

١ « يعترضون ، قرئت هذه الاية في نسخ « لكي يذوق بدون الله الموت لاجل كل واحد » وقرئت في اخرى « لكي يذوق بنعمة الله الموت الخ » انظر حاشية نسخة بيروت . الجواب : ان الترجمات والنسخ المشهورة قرأت الاية بالنسبة الذي اوردناه . كنسخ السريان واليونان والاقرنج والارمن والقبط والكروج والسرب والصقالبة والحيش . وعجز النص ، وغيرها من آيات الرسول يؤيد ذلك . فلا عبرة بسوى هذه النسخ . » المطالب النظرية ص ١٨٧ « والفصل الخامس من الباب الرابع من الركن الرابع من منارة الاقداس للعلامة ابن العبري ..

والناسوت وبذلك يؤيد ان للسيد المسيح طبيعة واحدة واقنوما واحدا . ويدعم هذا القول الآباء القديسون . ثمار افرام (٣٧٣ +) يقول في ميمره الآنف الذكر عن الآلام « لقد قدموا قصبة السخرية الى ذراع الخالق العظيم ، لقد سمروا على الصليب الشبر الذي قاس السماء . ان الله بمسيحه رآ الخلائق وابدعها . لقد سمى ابناء آدم اليدين اللتين جبلتا آدم ، انتصب الله في الحكمة ولطمه العبد على وجهه . نحن لا يمكن ان نحتمل اسماعنا كلمة صغرى ، والله معلق على الصليب ، والخليقة مجلبة بالحداد . » ويقول القديس كيرلس في حرمة الثاني عشر « من لا يمتزج بان كلمة الله تألم بالجسد وذاق الموت بالجسد وصار بكر الاموات اذ هو حي ومحي هو الله ، فليكن محروما . »

وقس على ذلك النصوص الآتية :

الذي نزل هو الذي صعد ايضا فوق جميع السموات لكي يملأ الكل (اف ٤ : ١١) . رب واحد يسوع المسيح الذي به جميع الاشياء ونحن به (اكو ٨ : ٦) ولكن لما جاء ملة الزمان ارسل الله ابنه مولودا من امرأة مولودا تحت الناموس (غل ٤ : ٤) لذلك يقول اذ صعد الى العلا سبى سببا واعطى الناس عطايا ، واما انه صعد فما هو الا انه نزل ايضا اولا الى اقسام الارض السفلى ، الذي نزل هو الذي صعد ايضا فوق جميع السموات ، لكي يملأ الكل (اف ٤ : ٨ - ١٠) وبالإجماع عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد تبرر في الروح تراءى ملائكة كرز به بين

الامم اؤمن به في العالم رفع في المجد (اتي ٣ : ١٦) فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع ايضا الذي اذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة ان يكون معادلا لله لكنه اخلى نفسه اخذا صورة عبد صاعدا في شبه الناس واذ وجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه واطاع حتى الموت موت الصليب (في ٢ : ٦ - ٨) الله بعد ما كلم الاباء بالانبياء قديما بانواع وطرق كثيرة كلمنا في هذه الايام الاخيرة في ابنه الذي جعله وارثا لكل شيء الذي به ايضا عمل العالمين ، الذي وهو بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الاشياء بكلمة قدرته ، بعد ما صنع بنفسه تطهيرا لخطايانا ، جلس في يمين العظمة في الاعالي (عب ١ : ٣١) . وكانوا (بنو اسرائيل) يشربون من صخرة روحية تابعتهم والصخرة كانت المسيح (اكو ١٠ : ٤) . لا تجرب المسيح كما جرب ايضا اناس منهم فاهلكتهم الحيات (اكو ١٠ : ٩) من اين لي هذا ان تأتي ام ربي اليّ (لو ١٤ : ٤) . فانه فيه يحمل كل ملء اللاهوت جسدياً (كو ٢ : ٩) . منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح الذي بذل نفسه لاجلنا لكي يقدسنا من كل اثم (تي ٢ : ١٣) انا والآب واحد (يو ١٠ : ٣٨) وان الآب في وانا فيه ، ومن رأي فقد رأي الآب الخ . ومن هذه النصوص الالهية العديدة يتضح لنا ان بين كلمة الله الازلي والجسد المحبول بواسطة الروح القدس من القديسة مريم العذراء وحدة حقيقية طبيعية منزهة عن انثنية والانقسام .

هذا علاوة على ان في ولادة السيد المسيح الخارقة للطبيعة دليلا قاطعا على اتحاد لاهوته بناسوته قولا وفعلا . اذ قد استمرت بتولية العذراء

بعد ولادته . وتمت بذلك نبوءة حزقيال القائل عنها « هذا الباب يكون مغلقا لا يفتح لان الرب دخل فيه » (حز ٤٤ : ٢) . فاذا اعتبرت الولادة مخصصة بالناسوت فقط - حسب رأيهم - كان لا بد من افتراض بكاراة العذراء مريم . اما وقد استمرت بتوليبتها كما كانت قبل الولادة ، ففي ذلك برهان سديد على اتحاد اللاهوت بالناسوت قولا وفعلا . قال احد الآباء سائلا الذين يمتقدون بطبيعتين للسيد المسيح « هل ولدت العذراء مريم آلهة ام انسانا فان قلتم آلهة ضللتهم لان الله لا يولد ، وان قلتم انسانا كانت ام انسان لا ام آله ، وذلك تنكرونها طبعاً . وان قلتم ولدت آلهة وانسانا كانت ام آله وانسان ، فلها ابنان احدهما آله والآخر انسان وهذا قول ينقضه العقل ويضيفه . فاذن لا يصح الا ان تقولوا ان الآله والانسان صاروا واحداً ، ولذلك مريم ولدت واحداً . فالذي ولدته لا آلهة بالاطلاق ولا انسانا بالاطلاق ، ولا آلهة وانسانا ، بل آلهة متأسساً وهذا هو الحق (١) .

٧ - وصرة الاله المتجسد وخصوم الكنيسة

١ - جاء في تاريخ الانشقاق للسيد جراسيموس مسرة للروم الارثوذكس صحيفة ١٩٣ قوله « وكان معلمو الغرب على الغالب متفقين مع الاسكندرانيين في المنهج والتعبير كما يتضح من رسائل يوليوس بابا رومية الى ديونيسيوس اسقف قبرص في اواسط القرن الرابع حيث ينكر

الاعتراف بطبيعتين استناداً الى قول الانجيل ، والكلمة صار جسداً . وقول الرسول بولس ، رب واحد يسوع المسيح ، ويعترف بطبيعة واحدة للالهوت الغير المتألم والناسوت المتألم .

٢ - جاء في كتاب (الايمان الصحيح في السيد المسيح) الذي وضعه احد اساقفة الاتين ، وترجم الى العربية في رومة وطبع فيها اولاً ثم طبع في بيروت سنة ١٨٦٤ قال ص ٩٢ و ٩٣) ، ان الكنيسة الرومانية ، تعتقد وتعلم بوجود طبيعتين في المسيح ، ثم تطعن بالحرم من لا يعتقد بان المسيح هو طبيعة واحدة . كما تدون ذلك في الجمع الاتراني المتعقد بأمر (القديس) مرتينو البابا سنة ستمائة وتسع واربعين في القانون الخامس بهذه الالفاظ ، « من لا يعتقد بموجب رأي الاباء القديسين انه توجد طبيعة واحدة للاله الكلمة في المسيح خاصة وحقا ، دلالة على ان المسيح اخذ جوهرنا كله كاملاً ما عدا الخطيئة فليكن محروماً » .

٣ - وجاء في كتاب « مختصر المقالات اللاهوتية » لبيروني اليسوعي ترجمة الخوري يوسف الدبس الجزء الثالث ص ١٧١ ، في ملاحظته على قول الآباء « طبيعة واحدة للكلمة المتجسد » ما نصه « فان اريد انهم يملكون ان الطبيعة المتجسدة صارت واحدة بعد الاتحاد فانا اسلم بذلك . وان اريد انهم يقولون ذلك في الطبيعة بالاطلاق فانا انكر » .

وقد جاء ايضا ص ١٨٣ من الكتاب نفسه ما يؤيد القول بالفعل الواحد للسيد المسيح اذ قال « فأسلم ان المسيح اظهر فعلاً واحداً او بالحري فعلاً جديداً تياندرىكيا (مركباً) بسبب الاتحاد المعجب بين

الطبيعتين واجتماعهما على الفعل الواحد » .

٤ - وجاء في كتاب « نظام التعليم في علم اللاهوت القويم » لابروتستنت المجلد الثاني ص ١٩٩ ، ما يتفق وعقيدتنا السمحاء ، قال « ان اعمال المسيح بعضها الهى محض كالمجائب وبعضها بشري محض ، كالاكل والشرب والنوم ، وبعضها الهى وبشري وهو ما يشترك في عمله الطبعيتان كعمل الفداء ، ولا يخفى ان جميع تلك الاعمال هي اعمال شخص واحد وان اعمال المسيح هي اعمال شخص الهى وان اختصت بطبيعة البشرية ولذلك يجوز ان تعتبر طاعة المسيح وآلامه ، وان كانت ليست طاعة والآم الطبيعة الالهية ، انها طاعة والآم شخص الهى

فان نفس الانسان لا يمكن ان تجرح ولا ان تحرق ، ولكن متى اصاب الجسد شيء من ذلك نسبناه الى الانسان كله ، وعلى هذا المبدأ نقول ان طاعة المسيح لله ، وان دم المسيح دم الهى ، ومن ذلك نتج الاستحقاق غير المحدود وفاعلية عمله ... وربما سمي شخص المسيح باحدى طبيعته ونسب اليه من الاعمال ما هو خاص بالطبيعة الاخرى ، فانه في الكلام على تسليمه نفسه الموت سمي الله وابن الله ورب المجد ، وسمي ايضا الانسان وابن الانسان ونسب اليه من الاعمال ما هو خاص بسلاطانه الالهى فقط ، ومن ذلك القول ان ابن الانسان هو الذي يغفر الخطايا ، ورب السموت ، وقيم الموتى ، ويرسل ملائكته ليجمع مختاربه) .

٥ - قال الارشمندريت فلاديمير جيتي Guette الكاثوليكي في المجلد الخامس من كتابه (التاريخ الكنسي) ، عن الجمع الخلقيدوني الذي

قرر عقيدة الطيبين، قال ما نصه « ان في قرارات المجمع الخلقيدوني من العبارات ما يمكن الخروج منها على بدعة نسطور، التي كان شبحها المفزع ما زال ماثلاً امام الميون » .

ويفصح هذا المؤلف ايضا فيقول « ان العدد العديد من الاساقفة الذين امتنعوا من الاعتراف بصحة المجمع الخلقيدوني، كان لهم المذر كل المذر في امتناعهم لان قرارات ذلك المجمع الخاصة بالعقيدة، تخالفتها عبارات قد تؤدي الى الترددي في ابدعة النسطورية . » (جيتي مجلده ص ٤٦) (Guett T. 5, P. 46) .

وقال ايضا « ان لاون اسقف رومية كان مدفوعا في نضاله الديني برذيلة الحسد التي كان يحجبها بالغيرة الكاذبة على الدين، مجلد ٥ ص (٢١) . (١)

فمن الشهادات السابقة التي هي للخصوم انفسهم، ندرك، ويدرك معنا كل من له ذرة من الضمير الحي، بان كنيسةنا المقدسة لم تحدد قيد شعرة عن ايمانها القويم الذي تسلمته من الرسل الاطهار والاباء الميامين، بل بقيت محافظة عليه، وثابتة على عقيدتها السمحاء منادية « بطبيمة واحدة لله الكلمة المتجسد » وقد بذلت في سبيل الحفاظ على هذه العقيدة القويمة العالي والنفيس . وقدّمت الوف الشهداء، مسجلة لها في التاريخ صفحة ناصمة البياض في الجهاد الثمر، ونالت اكليل الغلبة بقوة ربها

ومخلصها يسوع المسيح الذي وعد بان يكون معها الى الابد وابواب الجحيم لن تقوى عليها .

الخاتمة :

هذا ما عنّي ان اخطبكم به في هذا المؤتمر الودي، اجابة الى رغبة ودعوة اعضائه الافاضل . طالبا من الله ان يسدد خطراتنا جميعا الى ما فيه مجده تعالى وانتشار ملكوته السهاوي . وان يجمع الخراف المشتتة الى حظيرة واحدة، مثبتا كنيسته المقدسة على صخرة الايمان القويم. انه السميع الجيب آمين .

جدول الخطأ والصواب

صفحة	مسطر	خطأ	صواب
ب	١٠	الانجليزية	الانجليزية
»	١٤	المسيحية	المسيحية
٥	٩	الي	الى
»	١٨	فتنكبوا	فتنكبوا
٦	٦	نأصبت	نأصبت
٦	١٩	خلقة	خلقه
٩	١١	اخيم	(اخيم)
١٠	١٩	رفضت	ارفضت
١١	٣	فر رفع شكواه	فر رفع شكواه الى
١٢	١٧	المجمع	المجمع
١٣	٣	باسان مجمي	بايمان مجمي
»	١٦	لرهاوي	الرهاوي
١٤	٨	يبطنه	يبطنه
١٦	١٧	تاريخ	تاريخ
١٧	٧	خاقدونية	خلفيدونية
٢١	٥	أفا الشمامسة	أفا الشمامسة
٢٢	٤	رهب	يرهب
»	١٣	فورنشس	فورنش
٢٤	١٦	المتجسدة	المتجسد
٣٠	١٤	التوفي	التوفي
٤٠	٤	الكمة	الكمة
٤٤	١٣	واحدأ	واحد